مركزية السُّلطة بين الحضور والغياب
(قراءة تفكيكية في رواية " شجرة اللّبخ" للكاتبة عزة رشاد)

إعداد

د. شيماء محمد حمدي حسن محمد

مدرس الأدب الحديث بقسم اللغة العربية– كلية الآداب – جامعة السويس

DOI: 10.21608/jfpsu.2021.58693.1035

مستخلص البحث

هدف البحث إلى دراسة مركزية السُلطة بين الحضور والغياب، ومناقشة العلاقة الجدلية بين النصوص الحاضرة والغائبة، وقد استند البحث على إحدى المقولات الفكرية للتفكيكية، وهي مقولة الحضور والغياب التي تكسب النص طبيعة جدلية بين ما يُصرح به وما لم يُفصح عنه، وقد اختار البحث رواية (شجرة اللبخ) للكاتبة (عزة رشاد)، والتي تفصح بنيتها النصية المُعلنة عن بنية قلقة متوترة، تحتاج إلى قراءتها للكشف عن الغائب الذي لم تصرح به في بنيتها المُعلنة، وقد انتهى البحث بخاتمة تضم أهم النتائج، والتي منها: أن السُلطة ، رغم غيابها عن الفضاء النصي المُعْلن، لعبت دور المحرك الخفي للأحداث والشخصيات، وكانت أشد حضورا وتأثيرا .

الكلمات المفتاحية: مركزية السلطة، الغياب، الحضور، البينة النصية، قراءة تفكيكية

Centralization of Authority Between Presence and Absence
(A Deconstructionist Reading of Azza Rashad’s "Shagarat Allabkh”)

Dr. Shaimaa Mohamed Hamdy Hassan Mohamed
Lecturer of Modern Literature – Department of Arabic – Faculty of Arts – Suez University

Abstract

The current study investigates the centralization of authority between presence and absence and displays the debatable relationship between present and absent texts. The study is based on one of the intellectual deconstructionist sayings that presence and absence make a text debatable in relation to its connotations and denotations. The researcher chooses Azza Rashad’s novel "Shagarat Allabkh” because its overt textual structure is tense and it needs to be thoroughly read to reveal what is absent in its overt structure. The study comes to the conclusion that authority is the most present and effective hidden motif of events and characters despite its absence from the overt textual space.

Keywords: Centralization of Authority; Absence; Presence; Textual Structure; Deconstructionist Reading

شهدت مرحلة ما بعد الحداثة أو ما بعد البنيوية تنوُّعا في المناهج النقدية والاستراتيجيات القرائية التي سعت إلى مقاربة النصوص الأدبية، والتعامل مع لغة الخطاب الأدبي بشكل مغاير.

وظهرت التفكيكية كإحدى الاستراتيجيات القرائية المثيرة للجدل؛ بحكم تمردها على الثوابت التي أسسها الفكر الغربي، وإعلانها لمجموعة من المرتكزات، التيمثّلت صدمة قوية لهذا الفكر.

وقد انطلقت التفكيكية من فكر فلسفي، لكنها سرعان ما تعاملت مع النصوص الأدبية؛ حيث سعت إلى تقديم قراءة مغايرة للنص الأدبي، تعتمد على النص ذاته، الذي يفكك نفسه بنفسه؛وذلك بكشف التناقضات والتوترات التي تعتري البنية النصية المُعْلنة، وصولا إلى الغائب، مما يؤسس لفضاء حر من المعاني اللامتناهية، التي تُنْتج مع كل قراءة جديدة للنص ذاته.

ارتبطت التفكيكية بالناقد الفرنسي **(جاك دريدا)**، الذي انطلق في تأسيسه للتفكيك من الثورة على المقولات الفكرية الغربية، التي قدّست سلطة العقل والمنطق، داعيا إلى هدمها، والخلاص منها؛ بغية الوصول إلى التعامل مع فضاء حر مفتوح، لا حدود له. وكما ثار على مرتكزات الفكر الغربي وثوابته، ثار أيضا على البنيوية، في اعتمادها على البنية الداخلية للنص ذاته وعدم تجاوزها لرؤية ما يقبع خلفها من معان متعددة.

وتعد مقولة الحضور والغياب من المرتكزات الأساسية للتفكيكية، حيث ثار **(دريدا)**على فلسفة الحضور، التي تمركز حولها الفكر الغربي، ووجدها تحدُّ من الوصول إلى المعاني المتعددة التي تنتجها قراءة النص، لذا فقد أكد أن الحضور ما هو إلا إفصاح عن معنى غائب أو مؤجل لم يصرح به النص وعمل على تغييبه.

وتجدر الإشارة إلى أن النص المؤجل أو الغائب لا يشكل، بغيابه، خللا في البنية النصية، بل إن غيابه قد يكون كشفا وتعرية لتناقضات في البنية النصية المُعْلنة، مما يستدعي البحث عن المعنى الغائب، الذي بغيابه قد يكون أشد حضورا وتأثيرا في الفضاء النصي .

إن طبيعة النص الأدبي تجعله لا يفض أسراره بسهولة، بل إن التعامل معه يحتاج إلى رؤيته بطريقة مغايرة لأي نص آخر، فكونه أدبيا، يُملي عليه التستر على غائب أو غير مرئي، ليكون هذا النص الغائب أشد تأثيرا وحضورا من النص الحاضر ذاته، ومن ثمّ يشكل الحاضر بحضوره إشارات وعلامات تحيل إلى البؤر المطمورة خلف البنية النصية المُعْلنة.

وهذا لا يعني الوصول إلى معنى عميق محدد، بل إن التفكيكية تثور على الثابت المحدد، وتسعى إلى القيام بعملية التفكيك بشكل حر ومفتوح؛ وصولا إلى معانٍ لامتناهية، مع كل قراءة جديدة للنص ذاته.

ولعل ديناميكية النص الأدبي وامتلاكه القدرة على إنتاج قراءات متنوعة باختلاف القارئ ومخزونه الثقافي، ومن ثم إنتاج معانٍ لا متناهية، كان الداعي إلى الاهتمام بالتفكيكية كاستراتيجية قرائية، تمنح الحرية لقارئها في إنتاج المعنى من خلال تفكيك النص ذاته.

في ضوء ذلك يسعى هذا البحث إلى الاعتماد على إحدى المقولات الفكرية التي اعتمدت عليها التفكيكية، وهي مقولة الحضور والغياب، التي تُكْسب النص طبيعة جدلية، بين ما يُفْصح عنه وما لم يُصرّح به، قاصدا مراوغة قارئه، ومنحه القدرة اكتشاف التوتر الحادث في بنية النص المُعْلنة؛ رغبة في الوصول إلى النص الغائب.

ويهدف البحث إلى مناقشة جدلية العلاقة بين النصوص الحاضرة والغائبة، من خلال الانفتاح على الفضاء النصي، والتعامل مع علاماته؛ للوصول إلى المعاني اللامتناهية، التي تُشكل البؤر المطمورة، ومن ثمّ الانفتاح على فضاء واسع من المدلولات، من خلال تفكيك النص وسبر أغواره والكشف عن بنيته المتوترة التي تكشف عن غائب لم يفصح عنه النص، وهو في غيابه أشد حضورا وتأسيسا من الحاضر نفسه.

وقد اختار البحث رواية (**شجرة اللبخ**) للكاتبة (**عزة رشاد**)، ولعل من أسباب اختيار هذه الرواية، تشابك خيوطها وتتداخلها، بشكل يستعصي على من يتعامل معها الوصول إلى بنيتها النصية المُعْلنة إلا بعد انتهاء قراءتها بشكل كامل، فعلى الرغم من توزع فضائها النصي على أربعة عشر فصلا، واتخاذها أسماء الشخصيات عناوينا داخلية لها، إلا أن الأحداث تتشابك بشكل معقد، بحيث تُفصح عن كل شخصية في ضوء تفاعلها مع الحدث الرئيس وتعاملها مع غيرها من الشخصيات، فتخلق ثغرات وفجوات في كل فصل من فصولها، تلك الثغرات تفك شفراتها في فصول أخرى، مما يحتاج إلى فك خيوطها المتشابكة، حتى يمكن الوصول إلى البنية النصية المُعلنة.

أضف إلى ذلك أنه بمجرد الوصول إلى المعلن الحاضر في الفضاء النصي للرواية، تفاجئنا بثغرات وفجوات، تكشف عن بنية قلقة متوترة غير متجانسة، تحتاج إلى قراءتها من جديد، لتكشف عن غائب لم تصرح به في بنيتها اللغوية الظاهرة.

وتتلخص أحداث الرواية في شخصية رئيسة هي شخصية "رضوان بيه البلبيسي" عمدة درب السوالمة، والذي يتخذ من سلطته ونفوذه وسيلة لقهر كل من حوله، وتكشف الرواية، في كل فصل منها، عن علاقة هذه الشخصية بإحدى شخصيات الرواية، ومدى تأثيرها على أفعالهم.

لذا فقد اختار البحث مركزية السلطة لتكون محوره الرئيس؛ حيث إنه أشد المحاور حضورا وتجليا في البنية النصية؛ وذلك للكشف عن مدى تأثير تلك السلطة في حضورها على شخصيات الحكي، والوصول إلى أشكال المقاومة والتمرد على تلك السلطة، ومن ثم الوصول إلى النص الغائب غير المُعْلن.

من هنا حاول البحث طرح مجموعة من الأسئلة الإجرائية، منها:

– ما طرائق حضور السُّلطة في الرواية؟ وما تجليات التمرد والخروج عليها؟

– كيف استطاعت دوال البنية النصية، وما تمنحه من علامات، الكشف عن التناقض الكامن وراء تلك البنية المعلنة؟

– ما التقنيات والوسائل الفنية التي أسهمت في الكشف عن التناقض والتوتر في الفضاء النصي المعلن؟

– كيف استطاع النص الغائب أن يعلن عن حضوره وتأثيره على مسار الحكي؟

وقد اقتضى ذلك تقسيم البحث إلى مدخل نظري ومبحثين وخاتمة، أما المدخل النظري، فقد تناول التفكيكية كاستراتيجية قرائية تهدف إلى التعامل مع النص الإبداعي بشكل مغاير، لتجعله يفكك نفسه بنفسه، ويكشف عن توتراته وتناقضاته، كما تناول مقولة الحضور والغياب كإحدى المقولات الرئيسة التي اعتمدت عليها التفكيكية، ثم يأتي المبحث الأول ليتناول الحديث عن مركزية السلطة وسيطرة أشخاص بعينها علىمسار الحكي، بالإضافة إلى قدرة هذه السلطة على خلق عالمها الخاص والتأسيس لحضورها في الفضاء النصي، ومدى تأثيرها على الشخصيات الأخرى، أما المبحث الثاني فيتناول مظاهر التمرد على السلطة، وما تعانيه الشخصيات في ظل حضور تلك السلطة وفي ظل غيابها أيضا، ثم ينتهي البحث بخاتمة تضم أهم النتائج التي توصل إليها .

مدخل نظري:

كثرت الاتجاهات الفكرية والنظريات والمناهج النقدية في مرحلة ما بعد الحداثة، وكانت التفكيكية نتاجا لتلك الفترة الزمنية، حيث تمتد جذور التفكيكية في النقد المعاصر إلى الندوة التي نظمتها جامعة چون هوبكنز حول موضوع " اللغات النقدية وعلوم الإنسان" في أكتوبر من العام١٩٦٦م، حيث كان هذا التاريخ أول إعلان لميلاد التفكيكية.[١]

وقد بدأت التفكيكية في الفكر الفلسفي أولا ثم انتقلت إلى ميادين ومجالات شتى، حيث " استمدت استراتيجية التفكيك عطاءها النظري في قراءة النصوص الأدبية والخطابات اللغوية، من أطروحات الفلاسفة، وكذلك من أطروحات اللسانيين فيما يتعلق بالثورة على فلسفة الحضور والتمركز حول سلطة العقل والمنطق، وكذلك الأخذ بفكرة التناص في بناء وإنتاج الكتابات الجديدة و انفتاح المعنى وتعدد الدلالة عن طريق الاختلاف والغياب المؤجل" [٢]

فقد أسس **(دريدا)** استراتيجيته القرائية على تلك الأسس، التي تعتمد في المقام الأول على هدم سلطة العقل والحضور والإعلان عن الانفتاح الحر في التعامل مع الخطابات المتعددة، حيث لاحظ أن "سلطة العقل وسلطة الحضور وحتى المقولات البنيوية قد ساهمت في تضييق الخناق على المعنى وقيدته بقيود لا يستطيع تجاوزها، مما يسبب نوعا من الجمود واللاحركية في الأعمال الأدبية والفلسفية على حد سواء" [٣]

فقد شكلت تلك المرتكزات الأسس الفكرية التي نادت بها التفكيكية، واعتمدت عليها في قراءة النص الأدبي ومقاربته، واستنطاق الدلالات المتوترة والكشف عما لم يصرح به النص.

فالتفكيكية ترفض منطق الثبات، أو وجود مركز ثابت يستحيل هدمه، فتبحث عن تعارضاته وتناقضاته الكامنة؛ وصولا إلى هدمه وإنتاج جديد مغاير .

وقد كانت التفكيكية أكثر الاتجاهات إثارة للجدل؛حيث اختلفت النظرة إليها باعتبارها منهجا أو تحليلا أو نقدا، حتى ذكر **(جاك دريدا)**، في كتابه (الكتابة والاختلاف)، أنها ليست تحليلا ولا نقدا ولا منهجا ولا يمكن تحويلها إلى منهج، أو اختزالها إلى أدوات منهجية أو إلى مجموعة من القواعد والإجراءات . [٤]

واستقر الأمر على أنها "ممارسة تندرج ضمن سيرورة استراتيجية مفتوحة ولا متوقعة، ولا تنتهي، ولا تحد بحدّ ما هو مكتوب"[٥]

وهذا يحيل إلى اهتمام التفكيك بالقارئ، ومنحه مسؤولية التعامل مع الفضاء النصي في ضوء علاماته وإشاراته؛ باعتباره منتجا للنص، يتعامل مع دوال النص ، قاصدا الوصول إلى ما يتخفى خلف هذه الدوال، ليصل إلى تقديم قراءة جديدة مغايرة للبنية المعلنة، من هنا تنفتح الدوال على فضاء حر من المعاني المتعددة.

وتجدر الإشارة إلى ما يترتب على ذلك من خلق علاقة تفاعلية بين النص والقارئ، " فالنص لا يستمد وجوده وكينونته من مؤلفه وإنما يستمدها من القارئ. والمعنى ليس كامنا في النص وإنما هو كامن في أنشطة القارئ وخبرته بالنص. إنه ، أي المعنى، ثمرة العلاقة التفاوضية التي تنشأ بين القارئ والنص والتي ليس لها علاقة بالمؤلف أو مقاصده، علاقة يكون فيها التركيز على الوجود الآني للنص وأثره الآني على قارئه"[٦]

وفي هذا السياق نادت التفكيكية بموت المؤلف، ويعلل **(بارت)** سر إضعافها لدور المؤلف ويقول: "إن نسبة النص إلى المؤلف معناه إيقاف النص وحصره وإعطاؤه مدلولا نهائيا. إنها إغلاق الكتابة" [٧]

وتجدر الإشارة إلى أن منح القارئ سلطة التعامل مع البنية النصية المُعْلنة، والاستغناء عن مؤلفها، أدت إلى تعامل التفكيكية مع اللغة تعاملا حرّا، حيث "يدعو **(دريدا)** إلى دور حر للغة، بوصفها متوالية لا نهائية من اختلافات المعنى ، ولا يمكنه تقرير أرجحية أمرٍ إلا استنادا إلى قرائن تُعوّمها القراءة الحفرية؛ إذ لا معنى يظل حبيس دواله، ويُفسَّر على أنه ذو مغزى محدد بصورة نهائية، إن المعاني تنتجها القراءة" [٨]

إن التعامل الحر مع اللغة يكشف عن انفتاح المدلولات، مما جعل **(دريدا)** يتجه إلى القول بفكرة "غياب المعنى وضياع الدلالة،داعيا إلى انفتاح النص المكتوب وتوسيع مجاله المعنوي إلى ما لا نهاية، ويظل القارئ في حالة مطاردة لهذه المعاني الغائبة التي كلما اعتقد أنه أحاط بها، وجد معانٍ أخرى، غائبة ومرجأة ومختلفة، تفاجئه" [٩]

وبذلك يتحول النص، من المنظور التفكيكي، إلى مجموعة من الدوال، التي تتعدد تأويلاتها وتتكشف مع كل قراءة جديدة، " حيث يكون توالد المعنى مستمرا وتتحول بذلك الكلمة الحاضرة والمجسدة بفعل الكتابة في النص إلى أخرى غائبة عنه، وهذا ما يجعل المعاني غير ثابتة وغير مستقرة" [١٠]

فلم يعد هناك معنى تأتي به البنية النصية المعلنة، وإنما مجرد دوال تحيل إلى مدلولات متنوعة، مما يعني تفكيك المعنى الذي يحصل عليه القارئ من القراءة الأولى للنص.

إن التفكيك" لا يهتم بالمنطوق والمصرّح به ، ولا يعني بالمتن وطروحاته، بقدر ما يلتفت إلى الهوامش والحواشي، ويُعنى باختلاف النص وتوتراته"[١١]

من هذا المنطلق تهدف التفكيكية إلى "إيجاد شرخ بين ما يصرح به النص وما يخفيه " [١٢]

إنها تبحث عن " اللبنة القلقة غير المستقرة وتحركها حتى ينهار البنيان من أساسه ويعاد تركيبه من جديد . وفي كل عملية هدم وإعادة بناء، يتغير مركز النص وتكتسب العناصر المقهورة أهمية جديدة، يحددها، بالطبع، أفق القارئ الجديد. وهكذا يصبح ما هو هامشي مركزيا وما هو غير جوهري جوهريا"[١٣]

وفي هذا السياق يرى (علي حرب) أن التعامل مع النص لا بما يقوله، بل بما يضمره ويسكت عنه، وذلك "لأن النص لا ينص بطبيعته على المراد ، ولأن الدال لا يدل مباشرة على المدلول. هذا هو سر النص : إن له صمته و فراغاته وله ذلاّته وأعراضه، وله ظلاله وأصداؤه، فهو لا يأتمر بأمر المدلول، ولا هو مجرد خادم للمعنى. ومن هنا يتصف النص بالخداع والمخاتلة، ويمارس آلياته في الحجب والمحو أو في الكبت والاستبعاد. باختصار للنص ألاعيبه السرية وإجراءاته الخفية"[١٤]

إن التفكيكية تمنح النص أهمية كبيرة، حيث لا يستطيع القارئ الوصول إلى الغائب غير المصرح عنه، إلا بالبحث عن التوتر والتناقض الحادث في النص ذاته، وبدون ذلك لا يستطيع إنتاج قراءة جديدة للنص، حيثجاءت التفكيكية لتؤكد قيمة النص وأهميته، وأنه محور النظر، ولا وجود لشيء خارج النص، ولأن لا شيء خارج النص، فإن التفكيكية تعمل من داخل النص لتبحث عن الأثر وتستخرج من جوف النص السيميولوجية المختفية فيه. [١٥]

فالبحث يتم في داخل النص ذاته، للكشف عن التعارض، الذي سيقود إلى تعرية النص والإفصاح عن الغائب غير المُصرّح به، "وحينما يصل النص إلى طريق مسدود وتظهر الهوة الموجودة داخله(العنصر الذي يهرب من قبضة كل النظم المعرفية)، عندئذ يظهر عدم تماسك النص وانعدام اتساقه الداخلي، فيتعثر المعنى الظاهر ويتناثر، بعد أن كان متماسكا، وله مركزه الواضح" [١٦]

ويحدد (دريدا) آليات للقراءة التفكيكية لأي نص، حيث " يبتدئ قراءته للنص بالقشرة الخارجية السطحية، التي هي وحدها المرئية، أما الطبقات الأخرى فكلها مغمورة ومطمورة تحت أعماق السطح، (...)، ثم يستكشف بعدئذ(...) الطبقات التحتية للنص " [١٧]

تلك الطبقات التحتية هي البؤر المسكوت عنها، التي يحاول الوصول إليها من خلال النص ذاته وما يحمله من علامات.

فالقارئ، في حضور التفكيكية، لا يقف عند المعنى الذي يمنحه النص في قراءته الأولى، وإنما يحتاج إلى قراءة تكشف عن البنية غير المتجانسة في النص؛ حتى تفصح عن الغائب غير المصرح به.

وعن ميتافيزيقا الحضور، فقد عرفها (عبد العزيز حمودة) بأنها " القول بوجود سلطة أو مركز خارجي يعطي الكلمات والكتابات والأفكار والأنساق معناها، ويؤسس مصداقيتها، وحيث إن اللغة خارج النص الأدبي أو داخله تكتسب مصداقيتها من إحالتها إلى هذا المركز أو تلك السلطة الخارجية، فإن الكلمات في استخداماتها خارج النص أو داخله تعني حضورا لتلك السلطة الخارجية "[١٨]

فالنص لا يملك معنى معلنا فحسب، بل ثمة معنى غائب يتخفى وراء البنية اللغوية المُشكّلة، و(دريدا) بنقده لسلطة الحضور، أكد أن تلك السلطة تقيد المعنى وتحجّمه، لذا فهو بدعوته هذه" يكون قد أزال ذلك الحاجز الذي عمل لمدة طويلة على كبت المعنى والحد من انطلاقه وتعدده، فهو بمقولة الغياب التي دعا إليها، جعل من معنى النص المكتوب أو الخطاب اللغوي دائما مؤجلا غائبا مختلفا متنوعا حسب شخصية وثقافة كل قارئ وكل متلق" [١٩]

ومن ثم كان اهتمام التفكيكيين بالغائب المؤجل المختلف، لا الحاضر المرئي ، فـ" أفق الغياب هو أفق خلفي للحضور، وبرغم أن طرفي الثنائية لا يكون لهما حضور متزامن داخل الوعي، إلا أن حضور أحدهما أمام الوعي يؤدي إلى استدعاء الآخر الغائب" [٢٠]

فمن أهم ما تقوم به استراتيجية التفكيك أنها "تستميت من أجل المغيب وطرائق تعويمه، إذ طبقا لذلك يكون كل معنى مؤجلا بشكل لانهائي، وكل كلمة تقود إلى غيرها في النظام الدلالي للغة دون التمكن من الوقوف النهائي على معنى محدد واضح،(...)، وهذا يفضى إلى توالد مستمر للمعاني، بسبب كشف تناقضات تلك البنية، مع تركها تكشف عن تلك البنية بنفسها" [٢١]

إن رفض سلطة الحضور والبحث عن غائب، يؤسس للكشف عن المعاني المتعددة، التي يستعصي الوصول إليها بالوقوف عند ما يصرح به النص.

فالنص لا يشكل كيانا محددا، إنما يكشف من خلال علاماته ودواله عن مدلولات لامتناهية، رغبة في الكشف عن الخطاب المسكوت عنه، والذي يفصح عن جماليات النص من خلال تفاعل المتلقي مع علاماته .

انطلاقا من ذلك يحاول البحث الكشف عن التناقض في البنية النصية التي تعلنها الرواية في فضائها النصي؛ رغبة في الوصول إلى الغائب ومدى قدرته على التأثير في مسار الحكي، رغم ما تملكه البنية المعلنة من قدرة على المراوغة، تحتاج إلى قراءتها والتعامل مع دوالها، بشكل يُمكّن من الوصول إلى تجليات الغياب، باعتبار أن القراءة تفتح أمام القارئ آفاقا بعيدة للكشف عن تناقضاته، ومن ثم الوصول إلى الغائب في الفضاء النصي للرواية.

وتجدر الإشارة إلى أن علاقتي الحضور والغياب تشير إلى البنية النصية المعلنة التي تخفي وراءها بنية أخرى غائبة، يمكن الوصول إليها من خلال استنطاق الدلالات والشفرات والعلامات التي يتضمنها النص الحاضر، والتي تحيل إلى مدلولات لامتناهية، لم يصرح بها النص، وإنما مُنحت للقراءة الفاحصة الحق في التفاعل مع دوال وعلامات النص؛ للوصول إلى بنية الغياب، التي ،على الرغم من عدم حضورها، قد تكون أشد تأثيرا من البنية النصية المعلنة.

لذا فنحن مطالبون "بمحاولة استثمار (الدال/ الحاضر) لإحضار (المدلول/ الغائب)، وأن نتجاوز المقول بحثا عن المسكوت عنه"[٢٢]

فالقراءة التفكيكية تتطلب جهدا في استثمار المعلن وصولا إلى المسكوت عنه، حيث " إن المسافة لكبيرة بين ما تظهره الرموز وما تحجبه، بين ما تومئ إليه وما تستره. إلا أن ذلك التباعد ذاته هو ما يجعل عملية التأويل ممكنة، وتلك المسافة وما تتطلبه من عنت وجهد، ومن شك وتساؤل هي التي ترفع القراءة إلى مرتبة تجعلها فنا من الفنون"[٢٣]

وتعد السلطة أكثر المحاور بروزا في الرواية، لذا حاول البحث التعامل معها لاستجلاء بنيتي الحضور والغياب من خلال تفاعل الشخصيات مع السلطة ومدى حضور السلطة وغيابها في الفضاء النصي للرواية ، فالرواية صراع بين السلطة وبين طرائق مقاومتها.

وعلى هذا الأساس سينقسم البحث، في جانبه التطبيقي، إلى مبحثين، تحاول الكشف عن البنية المطمورة التي لم يفصح عنها الحكي والتي أخفاها وراء بنيته المُعلنة، وترك مجموعة من العلامات التي تحيل إليها.

تتحدد تلك المباحث فيما يلي :

المبحث الأول : تجليات حضور السلطة ، وتتضمن :

أولا: السُّلطة المركزية

ثانيا : السُّلطة المساعدة

المبحث الثاني : تجليات التمرد على السُّلطة ، وتتضمن :

أولا : الخروج عن القوالب الجامدة وخلق عالم بديل للعالم السُّلطوي

ثانيا:البحث عن الحرية المُسْتلبة

ثالثا: الانتقام من السُّلطة

المبحث الأول : تجليات حضور السلطة

بدايةً تمثل السلطة شكلا من أشكال التحكم والسيطرة على الآخر، وهى قد تكون من أجل تحقيق التماسك وتنظيم المهام، وقد تكون بدافع تحقيق مصالح شخصية، فإذا ارتبطت بالمصلحة الشخصية،أخذت طريق الهيمنة والتسلط والعنف والقهر، مما يعني أن السلطة تكتسب طابعا سلبيا كلما ارتبطت بالعنف والإكراه، وكلما ابتعدت عنهما اقتربت من المضمون الإيجابي لها، الذي يرتبط بتنظيم المهام وتحقيق الغايات.

وإذا طالعنا المعاجم اللغوية يتجلى الربط بينها وبين القهر، حيث ذكرت المعاجم أن "السّلاطة : القهر، وقد سلّطه الله فتسلط عليهم، والاسم سُلطة بالضم"[٢٤]

وبذلك تتأسس السلطة مقرونة بالتسلط والقهر في معناها اللغوي، مما دفع إلى تحديدها " ضمن مفهوم أو طابع واحد وهو مفهوم التسلط لأشخاص على مجموعة من الأفراد بحكم أنهم أقوياء جسديا أو عقليا"[٢٥]

وترتبط السلطة بالقوة، فمن يمتلك السلطة لابد أن يكون قويا، فالقوة تمنحه القدرة على الهيمنة والسيادة، سواء أكانت هذه القوة منبثقة من قوة الشخصية والقدرة على التحكم والقيادة الناجحة أم كانت منبثقة من استخدام العنف والقهر، إنها " القوة المركزية ذات السيادة المهيمنة على أية علاقة، بما يساعد على خضوع الإنسان لقوة أكبر منه"[٢٦]

وتجدر الإشارة إلى أن مركزية السلطة، التي يشير إليها البحث،يقصد بها تمركزها في أيدي شخصيةواحدة، تمتلك القدرة على التحكم والهيمنة علىغيرها من الشخصيات، كما تملك التصرف في مجريات الأمور بدافع تحقيق المصلحة الشخصية، مهما أدى ذلك إلى إلحاق الأذى بالآخرين، وذلك بحكم أن من يمتلك السلطة يمتلك القوة، ومن ثم القدرة على التحكم والهيمنة على الآخر.

أضف إلى ذلك أن مركزيتها تأتي من هيمنتها على مسار الحكي ومصير الشخصيات، فالأحداث والشخصيات تدور في فلكها لتكون محورها الرئيس المسيطر.

وتتمثل السلطة المركزية في رواية (شجرة اللبخ) في شخصية رئيسة ، هى شخصية "رضوان بك البلبيسي" عمدة "درب السوالمة"، التي تبدأ الرواية بحدث وفاته، ومشهد الجنازة الذي يشهد على صلاح

أمره وبلوغه منزلة عالية، تأكد منها أهل القرية عندما رأوا النعش يسبق المشيعين، فيردد أحدهم " **النعش طار" (شجرة اللبخ، ٥).**

تبدو هذه الجملة المفتاح الرئيس الذي تنساب من خلاله الحكايات والأحداث، ومن ثم تكشف عن تفاعل الشخصيات مع هذه الشخصية، التي تشكل مسار سلوكهم وتصرفاتهم، بل وقد ترسم حياتهم بشكل كامل.

وتجدر الإشارة إلى أن الفضاء النصي يمتلك سلطة على الشخصيات ، لا تختلف عن سلطة الشخصية الرئيسة، وتتأسس تلك السلطة من تغييب الشخصية الرئيسة، لترك المجال للراوية العليمة لتتحكم في مجريات الأمور .

أضف إلى ذلك أناللجوء إلى تغييب الشخصية يمكن اعتباره حيلة، لجأت إليها الراوية حتى تسيطر على الحكي، وتتمكن من إضفاء حضورها على الشخصيات في تفاعلها مع الأحداث، فقد أسست حضورها وهيمنتها على تغييب الشخصية الرئيسة واستحواذها على الحكي، فهى تعلم أكثر من الشخصيات وتتدخل في مسار الحكي، لتحلل وتعلق على الأحداث، بل وقد تكشف عن أحداث لم تسترجعها الشخصيات عن نفسها.

ويفرض موت الشخصية الرئيسة على القارئ تصورا أن هذه الشخصية لن تكون مؤثرة على مسار الحكي، إلا أن تلك الشخصية تمتلك السيطرة والهيمنة لا على شخصيات الحكي بل على سير الأحداث ومسار الحكي بأكمله، فهى المسؤولة عن أفعال وسلوكيات الشخصيات تجاه الأحداث، التي تدور في فلكها، فعلى الرغم من وفاة تلك الشخصية، التي تمثل رمز السلطة، إلا أنها لا تمنح الشخصيات الفرصة للخروج عن دائرتها ولا التوقف عن الدوران في فلكها.

وقد اختارت الرواية اسم "رضوان" للشخصية الرئيسة، مما يحمل تناصا مع شخصية "رضوان" خازن الجنة، وهذا يدعّم الجملة المفتاحية التي تحيل إلى صلاح أمر هذه الشخصية.

وغياب تلك الشخصية الممثلة للسلطة، استدعى توظيف تقنية الاسترجاع؛ لاسترجاع أحداث ماضية، تربط بين هذه الشخصية وغيرها من الشخصيات في شبكة من العلائق الداخلية، التي تفصح عن غائب لم يصرح عنه الحكي.

على هذا الأساس فالشخصية السلطوية إن لم تتمتع بحضورها النصي، فقد حضرت بآثارها التي تركتها على الشخصيات، وكأن توظيف استراتيجية الغياب جعلها أشد حضورا على مسار الحكي، ومن ثم أصبح للنص الغائب حضورٌ يوازي النص الحاضر نفسه.

أضف إلى ذلك أن حضور الشخصية السلطوية في البنية المُعْلنة، سيجعل الشخصيات عاجزة عن الإفصاح عما بداخلها، لذا فقد تعمدت الراوية تغييبها وإقصاءها؛ لمنح الفضاء النصي فرصة الإفصاح عن المسكوت عنه .

وبما أن التفكيك " تكمن غايته في داخله "[٢٧]، وأن القراءة التفكيكية تقتضي البحث عما هو خفي وغير ظاهر أو ما يتسم بالغموض، سيحتاج الأمر إلى الولوج للفضاء النصي ذاته؛ للتعامل مع الشخصية المسيطرة على الحكي.

يكشف العالم الروائي عن شخصية سلطوية، هدفها تحقيق النفوذ والمصلحة الشخصية، واستغلال كل من حولها لبناء مجدها الشخصي، وتوطيد دعائم قوتها وهيمنتها على غيرها من الشخصيات، فـ "رضوان بيه" زير النساء، لا يهوى إلا النساء واستغلال الفلاحين إلى أقصى حد ممكن، وجمع المال، والتسلط على تصرفات الغير، بالإضافة إلى التعاون مع الاحتلال البريطاني، في فترة وجوده في مصر، وينتهي مصيرهبالموت من الخوف في صومعة مع إحدى النساء، ثم يُدفن بعد أيام من موته، حتى أن رائحة جثته، رغم المحاولات المضنية في إخفائها، طغت على المكان، كإشارة إلى ظلمه وتجبره .

إن امتلاك الشخصية السلطوية للقوة والهيمنة، يجعلها تفقد حياتها بمجرد افتقادها لتلك القوة وإحساسها بالضعف وعدم قدرتها على إخضاع الآخرين لها ، فالشخص الذي يملك السلطة، قد تعوّد أنه يمتلك القوة والقدرة، وعندما يشعر بضعفه، ويتملك منه الخوف، فهو لا يستطيع الحياة، فنهايته بانتهاء قوته وسيطرته؛ لأن القوة "هي الوسيلة التي من خلالها يستطيع شخص ما أن يؤثر على سلوك شخص آخر" [٢٨]

إن تفكيك النص "يكشف أن ما يبدو عملا متناسقا وبلا تناقضات هو بناء من الاستراتيجيات والمناورات البلاغية. إن فضح ذلك البناء ينسف الافتراض بوجود معنى متماسك غير متناقض ومفهوم" [٢٩]

وعلى هذا الأساس فإن لجوء الحكي إلى المفارقة الساخرة كشف عن تناقض في البنية النصية، وأعلن عن بنية غائبة أشد تأثيرا من بنيته المعلنة؛ فلم يكن طيران النعش دالا على صلاح أمر الشخصية

السلطوية ولم يكن "رضوان" في الرواية إلا خازنا لجنة زائفة، تقوم دعائمها على الظلم والقهر؛ تحقيقا لمصالحه الشخصية.

إن سياسة الإخضاع التي تمارسها الشخصية السلطوية، تؤسس وتدعم شعورها بالقوة والهيمنة، ويدعم ذلك ما ذهب إليه (ميشيل فوكو) من أن الجسد ينغرس في علاقات سلطوية، وأن "علاقات السلطة تعمل فيه عملا مباشا؛ فهى توظفه وتطبّعه، وتقوّمه، وتعذّبه وتجبره على أعمال" [٣٠] .

يؤسس ذلك للقول بأن إخضاع الجسد الأنثوي يرتبط بالسيطرة والرغبة في الهيمنة وإظهار القوة الجسدية، التي تجعل الشخص السلطوي يشعر بفوقيته، فالسلطة الذكورية تشعر بكيانها من خلال السيطرة على الأنثوي، لذا فمما يمهد لانتهاء الشخصية السلطوية شعورها بعدم قدرتها على إخضاع الجسد والسيطرة عليه، مما يؤهلها إلى الوصول للنهاية؛ لأنها وطدت دعائمها على أساس القوة الجسدية ومحاولة قهر الأنثى.

تأتي حقيقة تلك الشخصية متوزعة على مدار الرواية، لكنها تتشابك لتخلق شخصية، لا علاقة لها بالولي الصالح الذي مجّده أهل درب السوالمة.

إن تجاوز التفكيكية للمصرح به والتعامل مع النسق الداخلي للنص، وصولا للمسكوت عنه كشف عن بنية متوترة في النص، وبمجرد خلخلتها أفصحت عن شخصية لا علاقة لها بالشخصية التي أعلنها النص في المفتتح.

ثانيا : السلطة المساعدة

إن السلطة كشخص لا تستطيع بمفردها القيام بالهيمنة والتسلط بمفردها، إنها تحتاج إلى من يدعمها ويؤكد خضوع الآخرين لها، وفي هذا الشأن تتولد من السلطة المركزية "رضوان بيه البلبيسي" شخصيتان، عملا على تدعيم قوته واستمرار إخضاع الآخرين له.

فالشخصية السلطوية تحتاج إلى النفوذ لتدعم بقاءها واستمراريتها، وتمثل " صافيناز هانم" زوجته الأولى ، صاحبة الدم الأناضولى، الذي يعود لجد أمها، الشخصية التي أسهمت في خلق نفوذه وفي إحساسه بالقوة وقدرته على الهيمنة.

إن سعي الشخصيات المساندة للشخصية السلطوية لتحقيق مصالحها الشخصية هو المبرر لمساندة هذه الشخصية، فـ "صافنياز هانم"" **أجبرتها الظروف على الزواج من رجل أقل بكثير مما تستحق، فسعت بكل قوتها لتغييره وتطويره.. لتكبيره ليصبح "على قدها"، تحتضنه ، تحتويه، تسحره بمشاريعها ، أحلامها فينقاد لها طائعا" (شجرة اللبخ، ٢٦٨).**

وقيام كل شخصية في علاقتها بغيرها على المصلحة الشخصية، يؤدي إلى الإحساس بالقوة والسيطرة، فالشخصيات المساندة للسلطة قد تتمتع بمميزات لا تتوفر في الشخصية الرئيسة التي تمثل السلطة، ولأن هذه الشخصية تتمتع بنفوذ يؤهلها لمكانة خاصة في داخل الشخصية السلطوية، فإن شعورها بسقوط هذه المكانة أو خلخلتها، يجعلها تحاول هدم هذه السلطة، أو تمني زوالها، لذا تقول الراوية العليمةفي حديثها عن "صافيناز هانم"" **كيف سيعتدل حظه وهى تدعو الله ليل نهار أن يخسف به الأرض ويعيده إليها ذليلا، يطلب غفرانها على خطيئته في حقها، في حق امرأة أحبته ودعمته" (شجرة اللبخ، ٢٨٠).**

ورغم أن " صافيناز هانم" هي الشخصية الوحيدة التي كانت تحظى بالتقدير من "رضوان بيه"، مما يؤكد مساندتها القوية للسلطة، بل إنها المسؤول الأول عن خلق تلك السلطة بداخله، إلا أن أفعال"رضوان بيه" تجعلها تحاول أن تبني سلطتها داخل من حولها، وإنْ قررت بناء سلطتها بسيرتها الحسنة، حتى لا تنتهي حياتها كما انتهت حياته، لذا فهى تنشغل بالتفكير في توطيد سيرتها الحسنة في نفوس كل من حولها، حيث تستحضر جدتها " نفيسة البيضاء" التي خلدت ذكراها بأعمال الخير، وتحاول أن تكون مثلها، حيث تقول الراوية العليمة عنها" **ستشيد في قطعة الأرض المجاورة دارا للأيتام وتجعل تحتها سبيلا للمارة" (شجرة اللبخ، ٢٦٦).**

وكما تحتاج السلطة لمن يقوي نفوذها ويدعم هيمنتها، فهى تحتاج ليد قوية تبطش بها، وتؤدب كل من تسول له نفسه المساس بالعالم السلطوي أو محاولة زعزعته، وهنا تأتي شخصية "حسنين الخولي"، فهو يد السلطة في البطش بالفلاحين وفي إنهاء كل ما يترفع " رضوان بيه" عن القيام به، فهو " **يشرف على العمل اليومي، بينما يبقى وجه البيه نائيا ومضيئا، ويداه إحداهما رادعة لأعداء السوالمة، والأخرى محسنة بيضاء لأهاليها ، يتكفل بالمداحين في الليالي المفترجة ، ويوزع الذبائح عليهم في المواسم**

والأعياد ، فيتلقى الدعوات من قوم لا يفهمون أن هذا السخاء " من دقنه وافتل له" ، يتمتم حسنين ضاحكا " (شجرة اللبخ، ٢٣٤).

وحسنين يؤدب الفلاحين عندما يأمره البيه بذلك، ليعد "**كشوف الجهادية أو فرق مكافحة الجراد أو مواجهة الفيضان أو الأوبئة، يملي على موظف المركز ، بعد الاتفاق مع سالم الكبير، أسماء من يثير الفتن من شباب السوالمة ضد البيه، ليضعهم في مقدمتها " (شجرة اللبخ، ٢٣٧)**

وتلك الشخصية المساندة للسلطة، تشعر هي أيضا بسلطتها على من هم أقل منها، لذا فهى تعرف أن حياتها مرتبطة بحياة السلطة، وقوة نفوذها مرتبطة بولائها للسلطة، لذا عندما تفصح وتصرح البنية النصية عن حب "حسنين" لـ"رضوان" على لسان زوجته" **هو الراجل دة عاملك عمل!، تعرف أنه يحبه ويجله، رغم الإهانات التي يتلقاها منه، بين الحين والآخر، ولا تتورع عن المبالغة : – ياراجل دة لو عيل من عيالك مش هتحمل همه كدة" (شجرة اللبخ، ٢٤١).**

تلك البنية النصية التي يعلنها الحكي في تشكيلها اللغوي، تجعل القارئ يبحث عن بنية أخرى تتخفى وراءها، لتثبت شفرات النص عبر تفتيتها أن " حسنين " لا يحب رضوان ولكنه يخاف المجهول، إنه يخاف غياب السلطة التي عملت على وضعه في مكانة مميزة، وبغيابها سيفقد مكانته، التي تعوّد عليها، فذهاب "رضوان" يمثل مصيرا مجهولا بالنسبة له، " **فطالما فكر أن لحظة موت البيه ستلقي به إلى مصير مجهول" (شجرة اللبخ، ٢٣١).**

إن البنية المعلنة للنص وما تصرح به من إصرار "حسنين" على إقامة ضريح لـ"رضوان بيه"، رغم علمه بحقيقته وبمصيره الذي انتهى إليه، تحيل إلى بنية غائبة، تتمثل في خوفه من ضياع هيبته وافتقاد مكانته، ليشكل الضريح علامة رمزية على حضور الشخصية السلطوية رغم غيابها، ففي بقائها بقاء واستمرار لمن يساندها.

إن العنوان الرئيس الذي تعلنه الرواية على غلافها الخارجي يشكل الدعامة الرئيسة للبقاء على السلطة وبقاء أثرها فيمن حولها، فالعنوان يشكل خضوعا كليا للسلطة وتثبيتا لها، فشجرة اللبخ " **شجرة عتيقة يذكر أبناء الدرب أنها عاصرت نصير الدين بيه البلبيسي، (...)، أنجب بنات كثيرات، عدا أنه لم يرزق إلا بولدين اثنين : "نعمان ورضوان" ثم جاء حفيد واحد " فارس" "(شجرة اللبخ، ٢٢٩).**

وتلك المراوغة التي يعلنها الحكي والمفارقة الساخرة التي تكشف عن شجرة ضخمة وفروعها كثيرة الانتشار، وتلك العائلة التي لم تكن فروعها ممتدة؛ فنعمان توفى وهو صغير، أما رضوان فلم يرزق إلا بفارس، وفارس أيضا لم يُرزق بأولاد، فالشجرة فروعها ممتدة والعائلة لا تحمل ذلك الامتداد في فروعها.

وستقوم هذه الشجرة بدور رئيس في شخصية " حسنين"، **حيث تمثل " دعامة أساسية يبني عليها حسنين حلمه" (شجرة اللبخ، ٢٣٠).**

تلك البنية النصية المعلنة تفصح عن بنية غائبة مؤجلة تحيل إلى ضعف السلطة وخوائها من الداخل، فلم تستطع بأفعالها أن تجعل فروعها ممتدة، مما جعلها تخلق بنية هشة ضعيفة، يسهل القضاء عليها، فالسلطة القائمة على القهر تمتلك في الوقت ذاته سلاحا لتحطيمها.

المبحث الثاني : تجليات التمرد على السُّلطة

إن وجود السلطة القائمة على القهر والعنف ضد الآخر، يخلق مقاومة لهذه السلطة أو تمردا عليها؛ للخروج والخلاص من سطوتها.

والبنية النصية المُعلنة للرواية تفصح عن محاولات للتمرد على السلطة، وبقدر المأساة التي تعانيها الشخصيات، تختلف طرائق التمرد والخروج عن السلطة.

ومن ثم فقد تعددت طرائق حضور التمرد في البنية النصية المعلنة، بالإضافة إلى أنها كشفت عن بنية الغياب في محاولات تمردها، ولاستنطاق النص الحاضر والكشف عن الغائب الذي لم تفصح عنه البنية المعلنة، يمكن تحديد أشكال التمردفيما يلي:

أولا : الخروج عن القوالب الجامدة وخلق عالم بديل للعالم السلطوي

إن السلطة تؤسسلمحاولات الخروج عن قالبها، وخلق عالم آخر بديل عن العالم السلطوي، عالم تنعتق فيه الشخصيات من السجن الذي تخلقه السلطة، والقيود التي لابد من الالتزام والخضوع لها.

إنه العالم الذي تقرر فيه الشخصية، أن تخلقه لذاتها حتى تشعر بوجودها حرة طليقة وليست لعبة في يد السلطة.

في هذا الشأن تتجلى " سعاد" الزوجة الثانية لرضوان التي تزوجها بمباركة زوجته الأولى " صافيناز" حتى ينجب منها الولد، بعدما يئست من أن تأتي له بالولد الذي يخلد ذكراه.

ومثلما بدأت الرواية بالجنازة تبدأ شخصية "سعاد هانم" من مشهد العزاء الذي يجعلها تجلس لتستقبل العزاء في زوجها "رضوان" الذي تبدي الرواية مشاعر مختلطة تجاهه، تجمع بين الحب والكره، فقد " **أحبته وكرهته ، وخافته وتمنت رضاه وأحيانا موته، لا تصدق أنها لن تجده بقربها مرة أخرى، لا تصدق أنها حرمت منه إلى الأبد، وأنها لن تكون مضطرة للنهوض مبرا للإشراف على ترتيب البيت، والتأكد من شراء الطلبات حتى لا يؤنبها بنظرة أو كلمة، لن تكون مضطرة لانتزاع الضحكة من فمها قسرا، حتى لو كانت في غاية الكآبة، حتى يسر لمرآها، لكنها أيضا ستفتقده، بل بدأت تفتقده بالفعل .. أرنبة أنفه الطويل التي تكون أول ما يلامس جلدها عندما يقترب ليدس رأسه بين ثدييها، الإيقاع المنتظم لشخيره الذي يطمئنها على استقرار العالم فتغط في النوم" (شجرة اللبخ، ٩)**

ثمة تناقض في البنية النصية المعلنة يكشف عن نص غائب، قصدت البنية النصية تغييبه، فـ"سعاد هانم" افتقدت سلطته واستحواذه عليها، ورغم تلك الهيمنة التي يفرضها عليها، إلا أن وجود السلطة يُشعرها بالأمان والراحة واستقرار العالم.

والتناقض الحاد بين حياتها قبل زواجها من "رضوان بيه" في بيت صغير ملأه أخواتها بالفرح والضحكات، وحياتها بعد زواجها من "رضوان بيه" في السرايا"**التي تجلس فيها على كرسي الصالون المذهب لتأخذ العزاء من زوجات المزارعين اللائي أبين إلا أن يجلسن على الأرض" (شجرة اللبخ، ١١)**

هذا التناقض يفصح عن غائب، لم يصرح به الحكي، يتجسد ذلك في أنها رغم افتقادها السعادة في السرايا، إلا أنها تستمتع بالمساحة أو الحيز الذي تؤسسه السلطة بينها وبين زوجات المزارعين، مما يكشف عن حبها للسلطة والهيمنة التي استطاعت بها أن تُوجد لذاتها مكانة مميزة بين غيرها من النساء ، حتى وإن كانت مكانة وهمية، بحكم زواجها من رجل السلطة "رضوان بيه"، وحتى إن كان "رضوان بيه" نفسه لا يُشْعرها بذلك، بل يراها "**تستكثر على نفسها "عيشة الهوانم"، وينبهها إلى ضرورة الحفاظ على مسافة آمنة بينها وبين الخدم" (شجرة اللبخ، ١٩)، فقد " أخفقت ، رغم ذلك، في التخلص من الشعور بالمهانة من أنه اعتبرها أقرب إلى الخدم" (شجرة اللبخ، ١٩).**

تلك الصور المتناقضة التي تحملها البنية النصية تخفي وراءها بنية أخرى غيّبتها، وهى رغبة "سعاد هانم" في إيجاد مساحة لها ومكانة مميزة تُشعرها بالسلطة، فهى لا ترفض السلطة ولا تحاول الخلاص منها رغم تعاستها، ولكنها ترفض شعورها بالمهانة وعدم تقدير "رضوان بيه" لها .

ويبدو الفضاء المكاني "السرايا" سجنا لها لا تشعر فيه بوجودها، فهذا الحيز لم يمنحها العيش كهانم ولكن جعلها تنحصر في دور خادمة أتت إليه لتؤدي مهمة واحدة وهى إنجاب الولد الذي سيخلد ذكرى " رضوان بيه"، أما "صافيناز" زوجته الأولى فهى تحتفظ بمكانتها في السرايا، فهى " **السيدة الأولى بالسراي كما بحياته" (شجرة اللبخ، ٢١).**

وكما يبدو المكان سجنا، يبدو الزمن كذلك قاسيا، بتحولها من حياة تملأها الضحكات إلى حياة تملأها الدموع والأحزان.

ورغم تواشج الشخصية السلطوية مع المكان والزمنوسلطتهم في تحوّل الشخصية وشعورها بالتعاسة، إلا أن التناقض بين هذه الصور يفصح عن أن التعاسة تتمثل في فشلها في الحصول على مكانة مميزة، تُشعرها بامتلاكها السلطة.

وتتضافر علامات النص ودواله في التأكيد على النص الغائب، فعندما طردها أخوها أقسمت أن تأخذ حقها بنفسها ولا تستنجد بأحد، حيث تقول الراوية العليمة عنها"**وتقسم مع أول خطواتها أنها ستأخذ من الدنيا حقها "تالت ومتلت"، ولن تعود سعاد" العيلة" قليلة الحيلة، ولن تستنجد بأحد.. حتى أقرب الناس إليها " (شجرة اللبخ، ١٦)**

هنا يصل القارئ إلى أن هذا القَسَم سيجعلها تخلق لذاتها عالما بعيدا عن السلطة، عالما يُشعرها بمكانتها المفقودة، ولكن ما تقوم به يؤسس للنص الغائب ويدعم حضوره رغم تغييبه في البنية اللغوية المشكلة بالكلمات، حيث "**راحت تشحذ قدراتها القتالية كي لا تنهزم أمامه أو أمام غريمتها . تبحث عن شيء يميزها عن هذه المميزة في كل شيء تقريبا، تجهد نفسها في قراءة أخبار السياسة والبورصة، كي تسردها عليه، متحفزة بارتداء أكثر ثيابها أناقة لتصبح في مثل رقي سيدات الصالونات الثقافية اللاتي تملأ صورهن الجرانين" (شجرة اللبخ، ١٨).**

إن افتقاد البنية النصية للتماسك واختلال اتساقها الداخلي يقود إلى وهم المعنى المصرح به، فالمفارقة الساخرة التي تمتلئ بها البنية المعلنة، من استخدام قدراتها القتالية لقراءة أخبار السياسة

والبورصة؛ كي تسردها على زوجها، تُدعّم النص الغائب أيضا المتمثل في رغبتها في إيجاد حيز لها في العالم السلطوي، يؤهلها للشعور بكونها هانم وليست خادمة في السرايا.

إن الصور المتناقضة، التي تتواتر في البنية النصية المعلنة، استطاعت أن تُحدث خللا في تلك البنية، فما قامت به "سعاد هانم" يمثل الهزة القوية للنص من الداخل، إنه يكشف التعارضات التي تعج بها البنية المعلنة، لتجعل القارئ يستجمع علامات النص ليشكل البنية الغائبة، التي تأبى الغياب، والتي تقوم بدور المحرك الخفي لأفعال وسلوكيات الشخصية.

فالتناقض القوي بين رغبتها في أن تأخذ حقها ، كما أعلنت البنية النصية، وبين ما تقوم به بالفعل، يعد مؤشرا قويا لبنية نصية غائبة تتخفى وراء البنية المعلنة، تلك البنية الغائبة هي أن ما تقوم به قصدت منه إرضاء السلطة والخضوع لها بإرادتها عن طريق البحث عن وسائل تُميزها وتُقربها من السلطة.

إن القراءة التفكيكية واشتغالها على ثنائية الحضور والغياب قد أظهرت بنيتين ، أحدهما حاضرة تمتلئ بالتناقضات وأخرى غائبة تنتجها تلك التناقضات، فـ"الحضور رهينة مرئية وما الغياب إلا ظلالها الكثيفة الغائرة في محيط مضطرب واسع لا قاع له ولا شواطئ، وهذا المحيط هو المدلول المنفتح أبدا بفعل القراءة" [٣١]

وفشل المحاولات التي قامت بها للتقرب من السلطة يؤدي بها إلى التفكير في بديل فعلي لتشعر بتميزها، فانتقالها من سجن السلطة / السرايا إلى بيت في شارع محمد علي، مهّد لها أن تبني عالما خاصا بها، عالما افتقدته في قربها من السلطة، جعلها لا تشعر بمكانتها ولا بأهميتها، فالمكان كانت سلطته عليها أقوى بكثير من أي سلطة أخرى، وبخاصة بعدما فشلت محاولاتها في تحسين وضعها في السرايا.

وذلك الشرخ القوي الذي تخلقه أفعال الشخصية والذي يتناقض مع ما تصرح به البنية النصية، يلح على بنية عميقة مؤجلة لم يصرح بها الحكي، يبدو ذلك في العالم الذي اختارته كبديل للسلطة، وهو ينحصر في التلصص على قاعة الرجال، فقد أحست بوجودها وهي تتلصص على قاعة الرجال، والتي يناقشون فيها مغامراتهم بالإضافة إلى تعنت سلطة الاحتلال ونمردة الفلاحين ومزادات الأراضي والعبيد والمجوهرات وأحوال البورصة.

فالحكي يكشف عن انفراد السلطة الذكورية بالحديث عن موضوعات لم يكن للأنثى دخل بها أو وجود فيها.

إن فشلها في إيجاد مكانتها جعلها تحاول البحث عن أنوثتها المفقودة، لتخلق عالما جديدا، تختار شخصياته بنفسها، في محاولة للانعتاق من السلطة التي أفقدتها مكانتها، حيث اكتشفت من خلال "**العواد الذي ضمه البيه إلى سهراته الأسبوعية من باب التغيير والتسلية،(...)، أن الرجال ليسوا كلهم أنانيين ومتكبرين مثل زوجها، فلدى بعضهم نبل ورقي وشهامة، وجدتهم في نتف أحاديث وحكايات العواد عن عشقه المستحيل**" **(شجرة اللبخ، ٩٠)**

فهى لم تشعر باحتياجها إلى الانفصال عن السلطة المتمركزة في يد "رضوان بيه" إلا عندما تأكدت أن عليها أن تجد لنفسها حياة تشعرها بوجودها الحقيقى في انفصال عن السلطة وتحكماتها، لكنها لم تستمر طويلا، بل تنتهى البنية النصية ببحثها عما يشعرها بحضور السلطة بعد موت زوجها، لتجد الخاتم الذي لم يكن "رضوان بيه" يستغني عنه أو يخلعه من إصبعه، لينتهي الحكي عنها، حيث تقول الراوية" **انحنت منفعلة لتلقطه ، فوجدته خاتم رضوان ذا الفص الأزرق، فندت عن قلبها آاااهة طويلة**" **(شجرة اللبخ، ٩٩)**

إن ما تقوم به الشخصية يحطم المعنى المباشر الصريح في البحث عن عالم بديل لعالمها السلطوي، حيث ينتهي الحكي بما يدعم حضور تلك السلطة رغم غياب رمزها، إلا أنها مازالت تعيش في كنفها ولا تريد أن تخرج عن دائرتها، وهذا هو النص الغائب الذي أعلن الحكي حضوره، وإن لم يصرح به حاضرا بين ثناياه، ولكن التوترات التي أحدثت شروخا في البنية المعلنة، تضافرت لتؤكد رغبة الشخصية في الإحساس بحضورها، ليمثل الخاتم رمزا لبقاء الشخصية ومن ثم دوام دولتها وسطوتها.

وتعامل التفكيكية الحر مع اللغة، يكشف ما تحمله تلك اللغة من قدرة على المراوغة، تتكشف في البناء اللغوي الذي يشكل البنية النصية المصرح بها، حيث" إن المعاني التي تزعمها متناقضة، وأن الاتساق المنطقي الذي تدَّعيه ما هو إلا وهم"[٣٢]

فبين تأكيدها على أنها لم تعد تتوسل إلى الله لكي يغفر لزوجها، تبدو في العزاء تدعم سلطته وترفض غيابها ، **لـ " تدعو له بالغفران وتتمتم : ماحدش معصوم ، ثم تتذكر لحنا في جوارحها ..**

الله يصون دولة حسنك

على الدوام من غير زوال

ويصون فؤادي من جفنك

ماضي الحسام من غير قتال " (شجرة اللبخ، ٨٩)

فالبنية النصية بما تخلقه من متناقضات، تجعلها بنية مراوغة تخلق الحيرة، مما يكشف عن أهمية كشف مناطق الصمت التي غيّبها النص وترك تناقضاته تحيل إلى تلك المناطق التي تتمثل في الرغبة فيبقاء السلطة، رغم سطوتها وهيمنتها، مما يكشف عن أن محاولات الشخصية لم تكن للخلاص من السلطة، ويدعم ذلك اللحن الذي تستحضره، والذي يحمل بين طياته رغبة في بقاء تلك السلطة وعدم تغييبها.

وتتفق شخصية " شفاعة" مع "سعاد هانم" في رؤية غدر الزمن، وإن لم تشعر "سعاد هانم" بمكانتها واهتمام "رضوان " بها، فإن "شفاعة " على النقيض من ذلك، إنها تعلن عن اهتمام "رضوان بيه" بها، وبخاصة بعد وفاة زوجها وابنها، وعلى الرغم من أن السلطة المتمركزة في "رضوان بيه " هي المسؤولة عن فقدان زوجها وابنها، إلا أنها ألحقت ما حدث بالقرية وأهلها .

فهى تلوم القرية عندما كتبوا اسم زوجها "محمود" في القائمة التي طلبتها السلطة كمتطوعين في فرق مكافحة الجراد، وبعد انتهاء المهمة عاد الجميع إلا هو، أما ابنها "يونس " مات أيام الفيضان، وترى أن القرية أيضا المسؤولة عن ذلك؛ لأنهم عندما اجتاحهم الفيضان كلفوها، وكل نساء السوالمة" **بحفر الأرض وكبش التراب وعجنه بالماء في القصاع وتقديمه للرجال الذين يصدون الفيضان بأجسادهم، كي يدعموا بالطين أعواد البوص التي غرسوها لصد المياه، تنهمك في العمل وتسهو عن يونس، ثم تعود فلا تجده، تبحث وتبحث ، بينما يجده أحدهم غاطسا في حفرة الطين" (شجرة اللبخ، ٣٠)**

إن البنية المعلنة تخفي وراءها بنية غائبة، فالشخصيات التي تخضع للسلطة بإرادتها تقع عليها المسؤولية في الخضوع لما تمليه السلطة عليهم بالإكراه، فهى شخصيات تعودت الخضوع وارتضت به، فعلى الرغم أن " رضوان بيه" يجسد السلطة وتتمركز فيه السلطة ومن حوله هم أيادٍ لتنفيذ أوامره، إلا أنها رأتهم هم السبب في فقدان ابنها وزوجها، في حين أنها لم تنس فضل "رضوان بيه" عليها حينما أخذها إلى السرايا وأكرمها كواحدة من العائلة.

فالمعنى المؤجل يفصح عن ذاته، وتجسده تصرفات الشخصيات ذاتها، فالشخصيات ترفض العيش بعيدا عن السلطة، بل وتشعر بالأمان عندما تعيش في كنفها، ففي ضياعها ضياع لها، وفي وجودها أمان لها، وهذا المعنى الغائب لم يصرح به النص بل عمل على إخفائه.

فغياب سلطة الزوج جعلها تشعر بأنها في احتياج إلى سلطة أخرى تعيش في كنفها، فلم تستطع الخروج من حالتها التي وصلت إليها بعد افتقاد زوجها وابنها إلا عندما وفّر لها " رضوان بيه" غرفة صغيرة في السرايا.

ولكن لسلطة الجسد سطوة مختلفة، فالجسد يمثل الكيان للأنثى، وإحساسها بضعفها يجعلها تشعر باحتياجها إلى من يبقى بجوارها، فهى " **تتحسر على جسدها الفتي الذي كان يحمل أحلام روحها ورغباتها وهواجسها، ثم لم يعد كما كان، بل تحول إلى عبء على هذه الروح تتوق إلى الخلاص منه والانطلاق " (شجرة اللبخ، ٢٨)**

لذا فهى تتحول من رؤية السرايا كفضاء آمن بالنسبة لها إلى رؤيتها كسجن يمنعها عن " منصور" الذي أحبته؛ لأنها شعرت بكيانها الأنثوي في وجوده" **أخبرتها سعاد أن البيه أراد أن يريحها من الخروج .حائرة ، هل تخرج وتخسر الفدان وتخاطر بالزواج من عربجي لا يضمن قوت يومه؟ خافت، ثم تحايلت مرة وخرجت، كان منصور في انتظارها، لم يكن قد يئس بعد من خروجها، ركبت وشد سرج جواده، ثم جذبها إلى صدره عندما صارا ودهما، فرددت أشهد ربي أنك زوجي، ردد مثلها، وعادت بعد ساعة للسجن" الاسم الذي أطلقته على السراية بعد تلك الساعة" (شجرة اللبخ، ٥٠)**

فقد تحول المكان من فضاء واسع تشعر فيه بالراحة إلى فضاء ضيق أشبه بالسجن؛ لأنه يحرمها من إحساسها بكيانها وأنوثتها ويمنع عنها من تحب.

والتأرجح بين الخوف من افتقاد الأمان وبين افتقاد الحب، جعلها تفكر في الاحتفاظ بالفدان الذي سيتركه لها "رضوان" بعد موته،وترى فيه أمانا لحياتها، وكأنها تخشى غياب السلطة مرة أخرى.

لكنها لم تستطع الاستغناء عن حبها أو الاستغناء عن المال ، فخسرتهما معا، فلا ترك لها " رضوان" الفدان، ولا استمر معها " منصور"، لتكون قد خسرت السلطة والحب معا.

إن محاولة التأقلم والخضوع للسلطة، تكشف عن منظور ضيق للشخصيات التي ترضى بذلك، وعندما تحاول تلك الشخصيات خلق عالمها الخاص بها أو التحول إلى عالمها الأنثوي الذي غيبته السلطة، تتحول نظرتها للسلطة من مصدر أمن إلى سجن وقهر، وبالتالي تشعر بظلم السلطة وغدرها بها، وأنها لم تكن أكثر من أداة في يد السلطة تحركها كيفما تشاء، وعندما تدرك الشخصيات ذلك يتضح لها وهم السلطة وحقيقتها التي كانت غائبة، حتى أن البنية النصية المعلنة تبدأ بامتنان شفاعة لـ"رضوان بيه"،

وتنتهي عندما سمعت عن دفنه تحت الشجرة، بقول الراوية على لسانها، " **يلا. هنخاف من تعبان .. على تعبان!!** " **(شجرة اللبخ، ٢٩٤).**

ومن أصدق الشخصيات بحثا عن عالمها الخاص"جميلة" الفلاحة البسيطة التي تحب "فارس" ابن البيه ويحبها، وعندما يُصرّح بذلك، ترفض أمه، رغم أنها تعجب بها وبجدتها التي لا تعتمد على أحد ، لكنها ترفض زواجه منها؛ حتى لا يغضب "رضوان بيه" أو تشمت فيها ضرتها "صافيناز هانم" .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشخصيات التي تربت على غياب السلطة لا تبحث عن سلطة ولا تجد فيها أمانا لها، فافتقاد "جميلة " لسلطة الأب جعلها لا تشعر بأهمية وجود سلطة في حياتها، فهى من الشخصيات التي تشهد ابتعادا عن مركزية السلطة.

فنشأتها في بيت يخلو من مركزية السلطة جعلها أكثر حرية، بل إنها رأت أن المرأة تستطيع أن تتولى المسؤولية أفضل من الرجل.

وتشهد الرواية أيضا نوعا من السلطة أثرت على شخصية "جميلة" وجعلتها ترفض الهيمنة والخضوع للسلطة، فاعتراف جدتها لها " **جدتك ست أبوها مدوباهم أربعة.. شرعي، تقهقه، الجدع من دول يبقى ميت فل وعشرة قبل الجواز، وقال بعده يظهر ويبان على حقيقته أقوله : بالمعروف ياخويا دخلنا وبالمعروف نفترق" (شجرة اللبخ، ٣٠٢).**

إن المقطع السردي يشهد تراجعا للسلطة الذكورية، بحيث يبدو الزواج مشاركة بين الذكر والأنثى، ولا مكان لسلطة قوامها القهر والعنف، وقد أهّل هذه الشخصية لذلك قدرتها على تحمل مسؤولية ذاتها، حيث جعلت سلطتها على ذاتها أقوى من سلطة الغير، لذا تقول "**البركة في دول . عطية ربنا. رزقي على الله وكلمتي من راسي. عشت كدة وهموت كدة" (شجرة اللبخ، ٣٠٣).**

فشخصية الجدة هى المحرك الخفي لتصرفات وأفعال " جميلة"، التي بدأتها برفض السلطة الأبوية، وبخاصة بعد تخلي والدها عن مسؤوليتها ومسؤولية والدتها، حتى أنه لا يظهر إلا للحصول على ما تمتلكه والدتها، ثم يختفي.

ويبدو إعلان استغنائها عن السلطة في الحوار بينها وبين والدتها :

"- **اطردي الراجل دة.**

-يا بت دة مهما كان أبوكي.

– أبويا! شي الله يا بويا!

أين كان أبوها في الليالي التي كانوا يبيتونها دون عشاء؟ كفا جدتها يتورمان من العجين ، وظهر أمها ينحني على القماش بالخيط والإبرة، وأول ما تقبض قرش يظهر حسب الله على الباب" (شجرة اللبخ، ٣٠٦)

إن تدخل الراوية العليمة في الحكي يحمل في حد ذاته سلطة على الحكي، فهى وإن تركتللشخصية الفرصة للإفصاح عن حضورها، إلا أنها تختار الوقت المناسب لتظهر أعلم من الشخصية ذاتها، بتدخلها بالتعليق على مسار الحكي، وإن كانت طبيعة الراوية العليمة في سيطرتها مناسبة لفضاء روائي، يشهد للسلطة بحضورها من المفتتح حتى الخاتمة.

وتراجع السلطة الأبوية يتضافر مع الجملة المفتاحية "**تحيا مصر حرة مستقلة**" **(شجرة اللبخ، ٣٠٥)** فهى ترغب في أن تعيش حرة مستقلة، تبحث عن حياتها وحريتها بعيدا عن وجود سلطة زائفة .

لذا فهى عندما يتقدم لخطبتها "سيد النجار " " **فاجأته بالضربة القاضية : – العصمة في إيدي" (شجرة اللبخ، ٣١٩)**

مما يكشف عن محاولة لانتزاع السلطة المركزية والاحتفاظ بها حتى لا يتحكم فيه أحد.

لذا فقد قررت خلق عالمها الخاص بها، حيث" **تحلم بمدينة آمنة لا تسمع فيها كل يوم عن مظلمة فعلها الملك أو وقعت بسبب عساكر الانجليز، في البداية دفعتها الشفقة للمشاركة في تحضير الضمادات لإسعاف الجرحى ثم تغلبت على خوفها ذات ليلة، واعتلت سطح البيت تراقب الطريق لتأمين الشبان الذين تسلقوا العمدان ليقطعوا أسلاك التليفون ، ويحطموا أعمدة التلغراف، ثم وجدت نفسها في اقتراح طرحته على أهالى الحارة بحفر خندق بعمق مترين وعرض ثلاثة كما فعلت حارات أخرى، حماية من اجتياح عسكر الإنجليز الذين التاثوا فزعا من الزخم الشعبي" (شجرة اللبخ، ٣٠٥)**

فالحضور هنا في عدم بحثها عن سلطة بديلة ولكنها بحثت عن عالم بديل تستبدل فيه سلطة الآخر بسلطتها على ذاتها، لتبني عالما جديدا تعيشه بحريتها بعيدا عن مركزية السلطة.

ورغم اختلاف هذه الشخصية عن غيرها ومحاولتها بناء فضاء خاص بها، إلا أن تلك البنية المعلنة ما زالت تراوغ قارئها، حيث تخفي وراءها بنية أشد حضورا، تأبى الخفاء، فمحاولتها بناء عالم خاص بها، لم يكن إلا رغبة في الخلاص من إحساس بالعجز والنقص أمام سلطة أفقدتها شبابها، ومنعتها من الزواج

ممن تحب، حيث تقول الراوية عن جميلة" **تقف أمام بيت رضوان بيه العتيق الآن وترى أعمدته تطول نحو السماء، بينما تشعر بقامتها تقصر تحت ثقل البدن الذي بدأ يتهدل ويفضح كهولته وتعاستها" (شجرة اللبخ، ٣٢٢)**

إن البحث عن عالم آخر بعيدا عن السلطة، كان له حضوره النصي المعلن، ولكن حضوره كان بغرض بنية نصية أخرى عمل النص الحاضر على تغييبها، وإن ظلت علامات النص تستدعيها، بحيث تسيطر وتهيمن، رغم غيابها، على مسار الحكي.

يمكن القول : إن بحث الشخصيات عن عالم بديل لم يكن بحثا حقيقيا، ولكنه كان بحثا وهميا، فـ"سعاد هانم" بحثت عن مكانتها داخل السلطة، كما أن "شفاعة" بحثت عن عالم بديل، لكن السلطة كانت أقوى من حبها للحرية، مما جعلها ترضخ للعيش في السرايا، لتؤمن حياتها، أما "جميلة" فشعورها بأن السلطة مثلت عائقا في وصولها إلى "فارس" استدعى محاولة تغييب السلطة الحقيقية واستبدالها بعالم آخر تتولى فيه هى زمام السلطة .

إن السلطة تعلن عن حضورها في توجيه مسار الأحداث وبناء الشخصيات لعوالمها، وتؤكد أن ما تفعله الشخصيات يمثل هروبا من السلطة إلى السلطة ذاتها.

ثانيا : البحث عن الحرية المستلبة

في ظل مركزية السلطة وتجمعها في أيدي شخص واحد، كان لابد أن يخلق ذلك بحثا عن حرية مفقودة، عملت السلطة على استلابها، ليصبح استرداد تلك الحرية علامة على حضور مستقل للشخصية بعيدا عن قيود السلطة.

في هذا المحور تتجلى شخصية" فارس" الابن الوحيد لـ "رضوان البلبيسي"، الذي أثرت سلطة والده على حياته، حتى حاول القيام بمحاولات للتمرد على سلطة أبيه، ليأتي الحكي بمحاولات مختلفة للخلاص من هذه السلطة، وهو ما يعلنه الحكي ويكشف عن حضوره بقوة.

تبدأ أولى محاولات البحث عن الحرية والاستقلال عن السلطة مع سفره إلى باريس، وإن كان سفره بأمر من أبيه، ولكنه حاول أن يجعل هذا الحدث بداية لتحرره من السلطة.

يعلن الحكي في بنيته النصية عن محاولات "فارس" المتكررة للخلاص من القيود السلطوية؛ فتفكيره في الزواج من فتاة أجنبية، لا يختارها له والده، كانت أولى محاولاته للتمرد، وتصف الراوية العليمة "فارس" قائلة" **فارتعشت شفتاه وهو يهمس :**

– سوزان . تتجوزيني؟

أحس بوجهه يتقشر مع نطق الكلمتين، وقع عنه بقايا سطوة أبيه" (شجرة اللبخ، ١٤٩)

على الرغم من الرغبة الواضحة في الخلاص من سلطة أبيه، إلا أن بداية الحكي تحيل إلى معنى غائب يتجلى خلف البنية النصية، التي تعلن الرغبة في البحث عن الحرية المستلبة، فارتعاش شفتيه مع الهمس، علامة على الضعف وإشارة إلى غائب لم تعلن البنية النصية عن حضوره.

وانطلاقا من كون التفكيكية تنهض على " منهجية التعارض بين المكونات التي تشكل كيان الخطاب وتركها تعمق اختلافاتها وتكشف تناقضاتها الداخلية" [٣٣] ، أي بين المعلن الواضح في النص وبين الكامن خلف هذا النص.

انطلاقا من ذلك يتجلى "فارس" غير قادرٍ على تحقيق تلك الحرية في أبسط تفصيلاتها، ولكنه اكتفى بإيهام نفسه بذلك، ليجد نفسه يتحدى والده في ذلك البدروم السري، الذي يختبئ فيه المتظاهرون من عسكر الانجليز، لتقول الراوية" **في ذلك البدروم السري نتف فارس مرارا رأس أبيه، بأفكاره العتيقة، وأضحك أصحابه، عدا أنه لم يجرؤ على تحدي هذه الرأس في الحياة الواقعية" (شجرة اللبخ، ١٥٠).**

تلك المحاولة أيضا أعلن الحكي حضورها وإن كانت محاولة داخلية لم تظهر للنور، ولم تعلن كمحاولة للتمرد العلني في وجه السلطة.

ويبدو للمكان سطوته في إخضاع الشخصية إلى السلطة أو هروبها بعيدا عن مجالها، فإذا كان فارس لم يستطع البحث عن حريته في بلده؛ خوفا من بطش والده، فشوارع باريس سمحت له بفعل ما تمناه وعجز، فقد " **منحته شوارع باريس وهواؤها وحرياتها ومقاهيها ومثقفوها – الذين لا يكفون عن العراك الفكري – الشجاعة لفعل ما تمناه وعجز،(...)، فنضح صوته بالبِشر والحيوية وهو يخوض نضالا في التليفون، لكي يقنع أمه التي يعتمد عليها في انتزاع موافقة أبيه " (شجرة اللبخ، ١٥٠)**

إن الحضور النصي يحيل إلى محاولة لخلق حياة مختلفة وتكوين عقلية مستقلة والعيش في حرية بعيدا عن السلطة وتحكماتها، ولكن كما يعلن الحكي ذاته عن ذلك، يعلن أيضا أنه اكتفى بخوض نضال

في التليفون، وحتى هذا النضال التليفوني لم يكن مع والده ولكن مع والدته؛ حتى تقنع أباه بالموافقة على زواجه من "سوزان".

فالمفارقة الساخرة تعلن عن بنية غائبة، تناقض البنية النصية المعلنة.

إن شخصية "فارس" اعتمدت ، في الحصول على حريتها المستلبة، على شخصية "سوزان"، فلم يكن زواجه منها إلا لأنها تحمل الوجه الآخر له، وجه الحرية والاستمتاع بالحياة وطبيعتها كما تراها وكما تحب أن تستمتع بها، فـ"**هى التي شجعته على صوغ أفكاره في مقالات راح ينشرها في الجرائد – باسم مستعار حتى لا يغضب أبوه من كتاباته عن تناقض السلطة البريطانية بين الحرية التي تمنحها لشعوبها والقيود التي تستميت في فرضها على شعوب البلدان المستعمرة**" **(شجرة اللبخ، ١٥٣).**

" فالناس يفتقدون حرية التعبير وحرية الكلام أو الكتابة، (...)، فهم مسلوبو الحرية جزئيا أو كليا بسبب سلطة الآخرين و سطوتهم" [٣٤]

إنه يعلن عن مساعدتها إياه في إحساسه بالحرية التي يبحث عنها، وإن كان استخدام اسم مستعار، يحمل نضالا غير فعلي، حيث يفعل ما يريد، وإن كان ما يفعله لم يصل لتحدي السلطة فعليا أو التمرد عليها بشكل ظاهر.

وعلى الرغم من أن النص الحاضر يعلن عن رغبة دفينة في الحصول على الحرية والبحث عن الاستقلال عن السلطة، لكن علامات النص تعلن عن نص غائب لم تصرح به بشكل ظاهر، وإن ظلت علامات النص تحيل إلى وجوده، بل إن وجوده كان أقوى من النص الحاضر ذاته.

إن النص يفكك نفسه بنفسه، فكشف التوترات والتناقضات داخل النص، تؤدي إلى " تعددية المعنى والانفتاح الكامل ، بحيث يفقد النص حدوده الثابتة ويصبح جزءا من الصيرورة ولعب الدوال "[٣٥]

وهنا يبدأ النص الغائب في السيطرة على الحكي عندما سأله صديق والد" **عما سيفعل مستقبلا؟ أربكه السؤال ولم يستطع أن يصرح بأنه لا يعرف شيئا على الإطلاق، فبعدما دفن أباه بيديه، لم يعد العالم، بعينيه، كما كان**" **(شجرة اللبخ، ٦٣).**

إن البحث عن الحرية لم يكن حقيقيا، فبموت السلطة تغيرت الدنيا في عينيه، ولم يعد يسعى لشيء ، إنها حرية وهمية أراد أن يشعر بها، حتى تخلصه من ذنب اتباعه للسلطة .

تستمر البنية النصية المعلنة في التصريح بمحاولات "فارس" للتمرد، حتى في تعامله مع صديقيه "متولي" وسيد النجار"، رغم أنهما أقل منه، وكأنه يحاول الخلاص من قيود السلطة، ولكن علامات النص تكشف عن غياب بنية أشد تأثيرا، حيث تُظهر رغبته الدفينة في السيطرة على من هم أقل منه، إنه يبحث عن سلطته عليهما، تلك السلطة التي يستنكرها ويحاول الخلاص منها، ولكنه يريد أن يشعر بامتلاكه السيطرة على من حوله.

إن النص الغائب يفصح عن رغبة "فارس" في أن يكون مثل أبيه، وأراد أن يرث قدرته على الهيمنة والسيطرة، فكل محاولاته لم تكن للخلاص من السلطة بقدر ما كانت محاولات يشعر فيها بامتلاكه السلطة، رغم أن النص بحضوره يعلن معنى مناقضا لذلك، ويدعم ذلك تحليله لشخصيات صديقيه، عندما يقول " **يضحك فارس من نفسه، من ولعه بتحليل شخصيات أصدقائه، يشهد لفؤاد بعقلانية مميزة، تشربها من معلمين بريطانيين حازمين، لم يُقلل تعلقه بهم من اعتزازه بمصريته، (...)، ويرى في دماثة خلق متولي تصالحا عفويا بين المتناقضات،(...)، تصالحا يعرضه للاتهام بالسطحية واللامبالاة، أما سيد القاهري من أصل صعيدي، فمسكون بالوطنية، عدا أن وطنيته معجونة بشيء من التطرف، (...)، ينتبه فارس لكل تصرف أو نظرة أو لفتة من أصدقائه، ويستمتع بمحاولة فهمهم وتوقع ردود أفعالهم، بينما هو في نفس الوقت لا يفهم نفسه، ولا ينجح في توقع ردود أفعالها**" (**شجرة اللبخ، ٧٢**).

إن الحكي يعلن عن رؤيته للسلطة بإيجابية، تلك الإيجابية تتجلي في العقلية المميزة التي يشهدها لفؤاد ابن صديق والده، وعلى النقيض من ذلك لم يذكر شيئا إيجابيا في شخصية متولي أو سيد، مما يعلن عن نص غائب، يتجسد في إنصافه للسلطة ورموزها.

بالإضافة إلى إعلانه أنه يتلذذ بتحليل شخصيات أصدقائه، رغم عدم قدرته على فهم ذاته، مما يعني أنه يعوّض عدم قدرته على فهم ذاته بفهم من حوله ومحاولة السيطرة عليهم؛ لأنهم أقل منه وسيمكنونه من هذه السيطرة.

ويبدو النص الغائب أشد حضورا في موافقته على الزواج من "قدرية" والطريقة التي لجأ إليها والده حتى يزوجه بها، والتي تعلن تأييده للسلطة وأفعالها، يأتي ذلك على لسان قدرية التي تحاول معاقبته على طريقة الزواج منها" **اسأل الحكيم اللي كان بيعرضنا عليك زي بضاعة بايرة بيدللوا عليها في السوق ، إحنا مهما كنا بني آدمين ياا .. يا ابن رضوان بيه! (...)، وبعد اصطفاء ثلاثة منهن، يعيد الحكيم**

الكشف فيما تلتصق عين فارس لى ثقب في الجهة الأخرى للستار، يتيح لـه أن يختار من يريدها من الثلاثة،(...)،

- **اختار . يهمس أبوه.**
- **التلاتة حلوين.**
- **خلاص .أجوزهم لك التلاتة . يقهقه البيه.**
- **الوسطانية وخلاص " (شجرة اللبخ، ١٤٨).**

إنه لا يكره السلطة إذًا، بل يمشي في طوعها ويعيش حياتها وينفذ ما تقرره لـه، ولا يجد صعوبة في ذلك، وهذا ما يحيل إلى استمتاعه بالسلطة، ويدعم ذلك إحساسه بالغضب من نفسه " **من خداعه إياها بزعم النضج والاستقلالية، ثم يفاجأ بسيره مغمي العينين وراء " رضوان بيه البلبيسي" (شجرة اللبخ، ١٤٨)**

يدعم هذا النص الغائب تعامله مع "سوزان" زوجته الأولى البولندية، التي بزواجها أراد أن يثبت بحثه الوهمي عن الحرية، فهو لم يقف بجانبها عندما حاولت الخروج من سلطة وسطوة البيه والسرايا، فعندما دار حوار بينهما عن رغبتها في الخروج لاستكمال بحثها عن علم الحضارات، رفض فارس أن تخرج بمفردها وكذلك أمه، لذا فكان رد "فارس" على اعتزامها على الخروج بمفردها

"**– لوحدك!! يقهقه ثم آسفا ما ينفعش خالص.**

تهدهدها سعاد :: خايفين عليكي يا حبيبتي .

- **ماتخافوش . أنا أقدر أحمي نفسي.**
- **قلتلك ماينفعش . تكرر سعاد.**
- **زهقت .**
- **بكرة تتعودي . (شجرة اللبخ، ١٥٦).**

إنه يدعم سلطة أبيه، فقد أضاف للسلطة شخصا جديدا تسيطر عليه، ولم يكن يختلف عن والده، مما دفعها إلى أن تطلب الانفصال وترحل إلى بلدها ، ويعلن "فارس" تخليه عنها؛ لأنها حاولت التمرد على السلطة، " **فريثما علقت سوزان حقيبتها على تفها ولمست قدمها أرضية الباخرة، كان هو يفكر في "جميلة" فيما يرفع ساعده ملوحا لسوزان التي تلوح له بمنديل دموعها" (شجرة اللبخ، ١٥٨)**

إنه لم يتمسك بالشخصية التي جعلته يشعر بحريته وآدميته، بل تخلّص منها على الفور، مجددا تفكيره في " جميلة" ، وحتى تفكيره في " جميلة " كان من باب السيطرة وإعلان سطوته مثل أبيه، ويؤكد ذلك الحكي ذاته، فعندما يجد جميلة في النهاية يرفض الاستماع لها، حيث "**همت بالكلام فقاطعها : – عندي كلام أكتر من كلامك . بس ورايا مشوار ضروري. لوتركها لقالت له : ولا يهمك . إنت تقدر تبني نفسك. إنت بالنسبة لي أحسن من كل الناس. (...) يهمس متعجلا :**

– ساعة زمن وراجع.

تراقبه وهو يمشي ويبتعد وتفكر في ضغطة يده بوجل :

– راجع ؟

مصباح الكيروسين الذي أضاء دفترها لتحضر درس اليوم التالي ، ألقت في ناره رسائل فارس " (شجرة اللبخ، ٣٢٥).

إن توظيف فارس للشخصيات التي تفاعل معها في الحكي، يعلن أن تعامله معها نوع من التمرد الوهمي والتحايل للحصول على حرية وهمية، يسعى ليقنع نفسه بها أولا، رغم أن الغياب أقوى حضورا، إنه يكشف عن تشبثه بسلطة أبيه ومحاولة أن يكون مثله، لذا فقد اختار شخصياته بعناية، حتى يشعر بذلك، واستمر في ذلك الأمر حتى مع رفضه الوهمي في أن يلبس بدلة أبيه إلا أنه يقول " **أوه ! تأخر الوقت. (...)، ثم يفرد جذعه ويرفع هامته استعدادا لأداء دوره في طقوس العزاء " (شجرة اللبخ،٢٦٤)**

إن الحكي يعلن عن تحجيم لدوره، وكأنه يعيش حتى بعد وفاة والده داخل أطر محددة يأبى الخروج منها، لذا فهو يستمر، رغم موت السلطة، في القيام بدوره المحدود ولا يخرج عنه، بزعم أن الوقت تأخر.

إن إعلان الشخصيات النسائية عن رغبتها في التحرر، أدى إلى ابتعاد "فارس" عنها، فـ"البولندية"عندما أعلنت التمرد تخلى عنها، و"قدرية" عرّته وكشفت حقيقته أمام نفسه، فتركها ولم يرجع بها للسرايا حتى علم بموتها في اليوم ذاته ، أما "جميلة"فقد تركها عندما شعر أنها تأبى الخضوع للقيود السلطوية، وأنها ، رغم فقرها، ليست الشخصية المناسبة التي تجعله يشعر بقوته وهيمنته، مما جعلها تبتعد عنه، وتنشغل بحلمها وتلقي برسائله في النار.

ورغم ما تعانيه بعض الشخصيات من أذى نفسي من تلك القيود السلطوية، إلا أن هذه الشخصيات قد تدعم وجود السلطة وترفض غيابها، فـ" كثيرون هم الذين بتأسفهم على ضياع السلطة، يحضّوننا على

إحيائها، أو بعبارة أخرى على استرجاعها إلى حالة الاعتبار أو الاحترام اللذين يجب أن تتمتع بهما. يتوجب علينا في الوقت نفسه العودة إلى نموذج مفقود واستعادة اعتراف به قد تم التخلي عنه"[٣٦].

فـ"سعاد هانم" رغم معاناتها مع "رضوان" إلا أنها تمنع "سوزان " من الخروج من السرايا" التي تعد فضاء مغلقا كالسجن، كما أن رفضها لزواج ابنها من "جميلة " بنت العجانة" رغم أنها تعترف " **بأن البنت جميلة، شهادة حق، لا عيب فيها، ولا حى في جدتها العجانة التي كانت سعاد تعطيها أجرها وتحسدها لأنها لا تحتاج لأحد ، بل تتمنى لو أن لها مثل هاتين اليدين الساحرتين اللتين تخمران العجين دون خميرة، تمنت لو تمتلك مهارة أو تحترف عملا تكسب منه رزقها " (شجرة اللبخ، ٩٦) .**

يكشف هذا الرفض عن حب للسلطة والهيمنة، وأن قيود السلطة تجعل تلك الشخصيات تشعر بوجودها وفوقيتها، كما يكشف عن تأثيرتلك السلطةعلى سلوك وتفكير الشخصيات.

إن وهم السلطة وحب السيطرة يتملك من الشخصيات، لتجد أن السلطة التي تقوم على العنف والقهر هى المناسبة لبناء مجتمع متماسك، فعندما طلبت "سعاد هانم" من "فارس" زيارة المصابين ضحايا غزوة النحل، " **كي يطمئن الناس بأن كل شيء سيمضي ، كما كان دائما، على خير ما يرام" (شجرة اللبخ، ٢٥٥)**

ورغم أن الجملة استوقفته وبخاصة مع مقارناته المستمرة بين ديار الفلاحين والريف الفرنسي، " **نفس الديار الصغيرة المتهالكة ، بدائية قومات الحياة المنذورة للشقاء التي أصابته بغصة عندما قارنها بالريف الفرنسي، والسخرية التي تملكته وهو يكرر عبارة أمه : كما كان دائما ، على .. خير ما يرام" (شجرة اللبخ، ٢٥٥).**

تكشف النقاط الصماء التي امتلأ بها الفضاء الروائي، عن غياب كلمات ولكنها رغم غيابها فإنها حاضرة بقوة في نفوس كل من يعايش أحداث الرواية، إنها أفصحت عن كلمات مسكوت عنها غائبة في الفضاء النصي المعلن، لكنها حاضرة بغيابها، تكشف عنها الأحداث، فقد شكلت استراتيجية الغياب قوة حاضرة تتخفى وراء المعلن المصرح به.

فـ "ثمة عناصر غائبة في النص وهى على قدر كبير من الحضور ،(...)، إلى درجة أننا نجد أنفسنا عمليا إزاء علاقات حضورية"[٣٧]

فالنص الحاضر يكشف عن بنية غير متجانسة؛ حيث إن الشخصيات التي عانت من السلطة هي التي تدعم بقاءها حتى بعد موت الشخصية الرئيسة الممثلة لها، مما يحيل إلى أن بداخلنا خوف من ذهاب السلطة وانتهائها، إنه خوف من فقد الأمان الذي يشعر به كل من يتعود على العيش في كنف السلطة، فالسلطة هي الأمان بالنسبة لأشخاصها، وحتى لو أظهروا غير ذلك.

والأمر الذي يظهر النص الغائب بصورة واضحة هو ما فعله فارس عندما وجد " حسنين الخولي" يفكر في بناء ضريح لـ " رضوان بيه" رمز السلطة، يعلن النص في حضوره ذلك الرفض بشكل قاطع،فيقرر قتل " حسنين" لو لم يقلع عن فكرة إقامة الضريح، ثم يعلن الحكي أيضا الأمر ذاته بقوله" **أكمل فارس الليلة يفكر، حتى استقر على ما سيبلغ به حسنين، فالبيه لم يعد موجودا ليهنأ هو بالراحة اتكالا على قراراته، حتى لو أوجعه بعضها(...)، والآن عليه وحده أن يتخذ القرار" (شجرة اللبخ، ٢٥٢).**

إن الحكي هنا مهد لمعنى آخر مهمش، فقد مهّد بأنه لم يكن يكره السلطة بقدر إحساسه بغيابها، الذي سيؤدي إلى الاعتماد على نفسه وأخذ القرارات بدلا منها.

لذا فبعدما فكر فيما يقوله لـ"حسنين" يعلن الحكي عن مفارقة ساخرة يقوم بها "فارس" حيث " **يحس فارس بالذنب تجاه الشاب المتوفي الذي راح ضحية مقام البيه، أو مطامع حسنين" ومن أجل هذا يحتسي كوب شاي ثقيلا " يوزن الدماغ" استعدادا للقاء حسنين، كي لا ينعس قبل أن يقول له ما لديه" (شجرة اللبخ، ٢٤٥).**

وهذا يدعم نظرة التفكيكية للنص "بوصفه نظاما غير منجز إلا في مستواه اللفظي، أي في التمظهر الخطي الذي قوامه الدوال، لتعني بذلك أن الخطاب يُنتج باستمرار ولا يتوقف بموت كاتبه"[٣٨]

إنه بعد كل هذا " **لن يذهب إلى حسنين مثلما رتب طوال الليل، سيكتفي برسالة يخبره فيها بالتوقف عن هذا الهراء، وسيذهب في صباح الغد إلى شارع محمد علي" (شجرة اللبخ، ٢٦٢).**

فالمفارقة عملت على كسر أفق التوقع الذي يرتقبه القارئ، مما أسهم في إبراز التناقضات في البنية النصية، ومن ثم البحث عن البنية المهمشة، التي أسس النص الحاضر بتناقضاته لحضورها وسيطرتها رغم غيابها.

إن البنية النصية المعلنة تعمل على" بعث طاقة التعبير الحية في المعنى الآخر (المهمش)"[٣٩]

فالسلطة تخلق شخصيات ضعيفة، حتى تستمر في امتلاك السيطرة بمفردها، ففي خلق القوة في الشخصيات ذهاب لقوتها هي، لذا فهى تستمر في إخضاع الشخصيات لها وامتلاك السلطة بمفردها، فقد تربى "فارس"على أن يكون ضعيفا، بل وقد سعى إلى أن يرث من والده سلطته على غيره، لكنه لم يستطع أن يكون مثله ولا استطاع أن يخلق لذاته شخصية مستقلة ينفرد بها عن سلطة أبيه، ، لينتهي الحكي بنص حاضر يبحث عن حرية وآخر غائب يطغي على الحكي ودقائقه يعلن تدعيمه للسلطة وضياعه من دونها .

ثالثا : الانتقام من السلطة

إن القهر الذي تقوم به الشخصية السلطوية، يؤدي إلى الإحساس بالظلم ، مما يخلق العداء في نفوس الشخصيات التي تشعر بظلم السلطة ، ومن ثم تسعى للانتقام منها والخلاص من ظلمها.

تأتي شخصية" ابن مبارز :همام" لتجسد دور الشخصية الانتقامية، وهو العنوان الوحيد الذي تقدم فيه الأب على الابن؛ لأن الثأر يخص الأب، الذي قتله "رضوان البلبيسي" وبسبب قتله تشرّد ابنه "همام" من مكان لآخر، حتى أهل القرية خافوا من بطش "رضوان" فتركوه وابتعدوا عنه.

إن سعي الشخصية للأخذ بالثأر، سيترتب عليه حضور الانتقام في البنية النصية المُعْلنة، فقد " **كان يحلم بزمارة رقبته بين يديه، يضغطها على مهل ويتلذذ بتعذيبه قبل قتله، برؤية عينيه تجحظان ولسانه يتدلى عندما تبلغ روحه الحلقوم**" **(شجرة اللبخ، ١٠٢).**

أما تلك البنية ستفاجئ القارئ ببنية أخرى تغيب وراء الحكي وتختفي، تلك البنية الغائبة تتجلى بعد موت "رضوان بيه"، ليشعر بعدها "همام" أن السلطة لم تظلمه بقتلأبيه فحسب، وإنما قضت عليه هو أيضا، إنها أفقدته معنى الحياة وأفقدته الإحساس بالزمن، ليكتشف بعد ذلك أنها انتهت بموته هو وليس موت السلطة فحسب، فقد صنعته السلطة ورسمت معالمه وجعلته لا يرى غير الانتقام؛ مما أفقده معنى الحياة، لذا فعندما يموت "رضوان بيه"، تتجلى الحياة غريبة عليه ، فيقول الراوي" **تلفح عينيه الآن الإضاءة اللامعة لمحلات متفاوتة المستوى ، يندهش من أنه لم يرها من قبل، (...)، تبدو هذه الليلة كل الأشياء غريبة ، يشعر بغرابته عن نفسه منذ لحظة موت رضوان، أن شخصا آخر ولد في تلك اللحظة، (...)، يمشي في النور ،(...)، غير راغب في شيء، (...)، لن يعبأ الآن لو داسه أتومبيل،**

أو أصابته طلقة من بنادق البوليس أو حتى من طبنجة الأفندي ، (...)، انتهى الأمر، (...)، انتهت لعبة العسكر والحرامية"(شجرة اللبخ، ١٠٨).

فقد كشف الحكي عن نص غائب، لم يفصح أو يصرح به، بل ترك لعلامات يضيئها الحكي، كي تفصح عنها، وهو أن نهاية السلطة والخلاص منها تبعتها نهايةلمن وهب حياته للثأر منها، حتى أن أبسط الأشياء لم يرها على مدار حياته، بل إنه لم يعد يعبأ بوجوده على قيد الحياة.

ما زالت السلطة تعلن بخبثها ودهائها أنها استطاعت أن تراوغ شخصياتها، فبدلا من أن يثأروا لأنفسهم،عاشوا في ظلها واستطاعت أن تبقى لتملك حيزا كبيرا في حياتهم بل حياتهم بالكامل.

حتى يرى أنه كان يتلذذ بمراوغة السلطة وبالجري ورائها، بدلا من قتلها، ففي قتلها قتل له وإنهاء لحياته التي جعلها وقفا للوصول إلى السلطة والخلاص منها، حتى يكتشف أن " **المتعة في الاقتراب ، في الإرهاب ، في تنغيص عيشه وتدمير حياته وهو حي لأطول فترة ممكنة قبل قتله" (شجرة اللبخ، ١٠٨).**

إن افتقاد الحياة هو ما خلفته وراءها فقد السلطة، فحياتها تساوت مع حياته، وفقدها أودى إلى فقده، لذا تقول الراوية" **وأصدق ما يحسه هو أنه بموت رضوان لم يعد مكانه هنا، "مكانه!!" يدهشه رنين الكلمة، فما من مكان رش أرضيته بالماء وسواها قبل أن يضع عليها رأسه، أو دق مسمارا في حائطه وعلق عليه جلبابه كي يشير إليه باعتباره مكانه، كلها استراحات توقف فيها لالتقاط الأنفاس ، ثم عاود الجري بسرعة" (شجرة اللبخ، ١١٠).**

إن النص الغائب بعلاماته كان أقوى في الظهور من النص الحاضر، فإن كان النص بحضوره أعلن عن تحقق هدف همام وانتقامه من السلطة، فإنه أعلن بشكل أقوى أنه لم يعد له حياة وأنه مستعد لإنهاء حياته بأية وسيلة ولا يبالي بأي شيء، فالسلطة مخادعة؛ إذ جعلته ينتهي معها .

لذا فعندما سأله "متولي" في حوار دار بينهما :

"- وناوي على إيه يا همام؟

- عه؟

- بعد ما رضوان البلبيسي مات يعني؟

- مش عارف. ما عادش لها طعم العيشة هنا" (شجرة اللبخ، ١٩١).

إن مجرد التفكير في الانتقام جعله ينسى ذاته وجعله ظلا لهذا السلطة دون أن يشعر، حتى أنه فقد حياته عندما فقدت السلطة حياتها، واكتشف أن حياته في مراوغتها أفضل بكثير من الخلاص منها، فالحياة أصبحت بلا طعم بدون السلطة.

إننا إذًا من نصنع السلطة ومن يدعمها ومن يجعل لها أهميتها ويجعلها تتحكم وتعيش بداخلنا، وتؤثر على سلوكياتنا، وهذا الأمر يدعمه حديث أهل القرية عن "المطاريد" والتي يؤكد همام أنه صعد الجبل كثيرا " **دون أن يجد أثرا للمطاريد الذين تدور عن جبروتهم نصف حكايا السوالمة** " **(شجرة اللبخ، ١١٤)**

وأهل القرية أيضا هم من خلقوا "عفريت مبارز" وألصقوا إليه كل حادثة تحدث لهم" **فعندما وقع طفل أحدهم في بئر الساقية قالوا : عفريت مبارز هو الذي جذبه، وعندما صرخت تمرأة مذعورة من قط أسود يتحول في الليل إلى مارد أشعل الحريق في الجرن، صاحوا : عفريت مبارز" (شجرة اللبخ، ١١٢).**

إنهم خلقوا السلطة وخلقوا الخوف منها بداخلهم حتى تصبح السلطة عدوهم وأمانهم في الوقت ذاته، فهى عدوهم الذي يهابونه، وهي أيضا أمانهم في إحساسهم بأنهم على قيد الحياة.

وتأتي شخصية "ليلى" كنموذج للانتقام من السلطة أيضا، وهى ابنة رضوان، وإن كان النص يعلن في حضوره عن أن انتقامها سيكون من "مدكور" زوجها الذي أخذ منها ابنها وتركها وحيدة، ولكن علامات الحكي تشير إلى أبعد من ذلك.

إن ليلى يبدأ الحكي عنها بالتصريح بشعورها بالخوف والقلق؛ بسبب والدها الذي لم يهتم لأمرها منذ الصغر،بل تركها مع والدتها وحيدة، حيث تذكر الراوية العليمة"**لا يمكن لليلي ذكر السلام دون التفكير بنقيضه ، فالقلق من كل شيء ومن أي شيء لا يفارقها" (شجرة اللبخ، ١٩٧)**

فالسلطة أفقدتها الشعور بالأمان والإحساس بالثقة، حتى أن الحكي جاء ليردد جملتها المعهودة " **لا يهتمون لأمري**" (شجرة اللبخ، ٢٠٦، ٢٠٨).

وإن كانت تلك الجملة سيكشف الحكي أنها المفتاح الرئيس لمعاناة تلك الشخصية، والتي ستكشف عن بنية عميقة مؤجلة، لم يصرح بها الحكي.

أوقفت "ليلى" حياتها على الانتقام من "مدكور " الذي سرق رضيعها وتركها وحيدة، ولم يساعدها والدها في استرداده لها، خوفا من أن يفضحه "مدكور " بالرسائل التي وجدها معها، وقد تأكد لها ضرورة الانتقام عندما علمت بموت ابنها؛ لأن "مدكور" لم يكن يهتم بأمره، ولكنها لم تستطع الانتقام، لذا فقد

عرضت موافقتها على الزواج ممن يساعدها في الانتقام من "مدكور"، فهى أضعف من الثأر لذاتها لذا تقول " **اللي يساعدني أنتقم من مدكور هو اللي أتجوزه" (شجرة اللبخ، ٢١٤).**

ولكن النص الغائب دوما يتخفى بحرفية خلف النص الحاضر، حيث يعلن احتياجها للسلطة المركزية المتمثلة في الأب، وأن افتقاده لم يجعلها تحصل على حقها وأنه الوحيد الذي يستطيع أخذ الثأر من "مدكور"، لتقول الراوية" **رضوان بيه هو الوحيد الذي كان بإمكانه مواجهة مدكور وإيقاع الهزيمة به إن أراد، غير أنه أراد أن يحافظ على مكانته وهيبته" (شجرة اللبخ، ٢٢٥)**

فالحكي يعلن عن نص غاب وراء علاماته، يتجلى في احتياجها إلى السلطة المفقودة، ورغم إعلان الحكي أن السلطة أفقدتها الثقة في كل من حولها، إلا أنه يؤكد عبر علاماته أيضا أنها في احتياج إلى السلطة، رغم أنها رأت أنها ظلمتها ، لكن الإحساس بوجود السلطة يحمل لها الإحساس بالأمان.

إن شخصية "ليلى" رغم إحساسها بالضعف لم تستطع تغيير حياتها وتصحيح مسارها، حيث "**يثيرها كذلك، وإن بدرجة أقل ، مشهد السيدات المحترمات زوجات وبنات ووجهاء وأعيان البلد ، وهن ينزلن من الأوتومبيلات كي يدخلن للاجتماع بمقر" الاتحاد النسائي"، أو يتجمعن ويسرن ، بوجوههن السافر، في تظاهرة حاشدة ضد الاحتلال أو للمطالبة بمساواة المرأة في الحقوق السياسية" (شجرة اللبخ، ٢٠٥)**

فقد اكتفت بمشاهدة المختلف عنها، ولم تفكر إلا في الانتقام من "مدكور"، وهو ما أعلنته البنية النصية الصريحة للحكي.

أما البنية الغائبة يؤسس لحضورها محاولات "متولي" المستمرة في الاهتمام بها والوقوف بجانبها للانتقام من مدكور، فذلك الاهتمام المفقود يعيد إليها معنى الحياة التي ظنت افتقادها، " **تعرف أنها لن تجد من يهتم بأمرها ويحبها مثله، وأنه تعرّض بسبب الأراجوز، لكثير من مداهمات وملاحقات البوليس للأماكن التي يعمل بها، ينجو منها بأعجوبة" (شجرة اللبخ، ٢٢٥).**

رغم أنه لم يساعدها في الانتقام إلا أنها شعرت معه بالأمان المفقود، مما جعلها تتحول من التفكير بالانتقام إلى الاهتمام به، فقد أفصح الحكي عن أن بحثها لم يكن إلا عن الاهتمام المفقود أو الأمان الذي لم تشعر به سواء مع والدها أو زوجها، والذي جعل الحكي يردد على لسانها " لا يهتمون لأمري " أكثر من مرة.

إن الشعور بعدم الاهتمام هو الذي دفعها إلى التفكير في الانتقام، هي تنتقم من كل من يسلبها الاهتمام والأمان ، لذا فعندما شعرت بهما، تلونت حياتها بلون الحياة وابتعدت عن الانتقام وفكرت في الحياة فحسب.

يمكن القول: إن الشخصيات التي وهبت نفسها وحياتها للانتقام من السلطة، اكتشفت أن وجودها معلقٌ بالسلطة، وبمجرد غياب السلطة شعروا بالضياع وانتهاء حياتهم، التي رسمت السلطة مسارها دون أن يشعروا بذلك.

أضف إلى ذلك أن الشخصيات التي مُنحت الفرصة لترى الحياة حولها خارج حدود الثأر والانتقام، استطاعت أن تتخلص من قيود السلطة وسطوتها عليها ومن ثم استطاعت أن تحيا بحرية .

إن السلطة أعلنت حضورها المستقر في نفوس الشخصيات، رغم ما صرح به الحكي من محاولات للخلاص منها بقتلها أو بالبحث عن بديل لها، إلا أن الغياب كان أشد تأثيرا، فقد كشفت استراتيجية الغياب أن للسلطة مكانتها المركزية في حياة الشخصيات، حيث تؤثر في تصرفاتهم وترسم لهم معالم حياتهم.

وبعد رصد سلطة الحضور والغياب في الرواية من خلال المحاور السابقة، يتجلى النص الغائب في أن محاولة الشخصيات الابتعاد عن السلطة وخلق عالم بديل، لم تكن محاولات حقيقية، لكنها كانت محاولات وهمية لجذب السلطة والاستمتاع بوجودها، وفي محاولاتهم أيضا للخلاص من السلطة والبحث عن الحرية المستلبة، يكشف الحكي عن إحساسهم بالأمان في وجود تلك السلطة وخوفهم من المجهول بمجرد غيابها، بالإضافة إلى أن الأحداث تشهد أن شخصيات الرواية تشرّبت السلطة وورثت حدودها وأصبحت تمليها على من حولها أيضا، إنها حرية وهمية حاولوا البحث عنها إرضاءً لذواتهم، بالإضافة إلى أن رغبة بعض الشخصيات في الانتقام والخلاص من السلطة، يحمل نصا غائبا أيضا وهو أن نهاية السلطة يحمل نهايتهم أيضا وحياة السلطة تدعم وجودهم، فعندما غابت السلطة انتهت حياتهم.

لذا ينتهي الحكي بأن النص الغائب كان حضوره أقوى بكثير من النص المُعْلن.

خاتمة:

بعد التعامل مع النص الروائي في ضوء رصد النصوص الحاضرة والكشف عن التناقضات التي تنتاب الحكي وتعريتها، ومن ثم الوصول إلى النصوص الغائبة التي أخفاها الحكي ولم يصرح بها، يمكن رصد أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ومنها :

– إن البنية النصية المُعْلنة تتمتع بالمراوغة، حيث إنها تخفي وراءها بنية أخرى مؤجلة، لكنها أشد تأثيرا من البنية النصية المُعْلنة.

–لعبت السلطة المركزية، رغم غيابها في الفضاء النصي المُعْلن، دور المحرك الخفي للأحداث وأفعال الشخصيات، وكانت بذلك أشد حضورا وتأثيرا على الشخصيات؛ فالشخصيات تستمر بعد موت السلطة في تأدية الأدوار التي رسمتها لها.

– شكلت المفارقة حضورا قويا في الفضاء النصي، وبخاصة في أسماء الشخصيات، فـ"رضوان" لم يكن خازنا للجنة الأرضية، بل جسد الجحيم الأرضي بقهره وظلمه لكل من حوله، و"سعاد" لم تكن يوما سعيدة في ظل وجود السلطة، و"فارس" لم يكن فارسا بأفعاله ، و"ليلى" ظلت تبحث عن "قيس " الذي يهتم لأمرها، و"همام" لم يمهله القدر أن يأخذ بثأره، و"شفاعة" لم تستطع أن تشفع للبيه الذي تركها دون أن يؤمن لها مستقبلها، و"منصور" لم يكن منصورا ولكنه مات مظلوما في السجن.

– لعب القدر بالشخصيات حتى أبرز المفارقة في الأحداث أيضا، فـ"همام" لم يستطع قتل رضوان، ولكن مات بفعل الخوف والصدمة و "فارس" لم يستطع بالطلقة التي أخفاها أن يقتل همام، ولكنه قتل "مدكور"، فقد أسهم القدر في إبراز حدة المفارقة الساخرة؛ ليظهر الشخصيات بحضورها غير قادرة على محو السلطة أو الخلاص منها.

– جسد المكان المغلق "السرايا" صورة من صور الانغلاق على الشخصيات، سواء الشخصيات التي تعيش بداخله أو الشخصيات التي تراه من الخارج ، فالمكان ،رغم اتساعه، يوحي بالسجن، وكأن السلطة تؤكد وجودها وتدعم سطوتها بالانغلاق على من حولها.

– شكلت أنماط المقاومة والتمرد على السلطة أنماطا وهمية؛ إنها جسدت السعي المستمر لإرضاء السلطة والعمل على التقرب منها.

– قدمت الرواية صورا متنوعة للمرأة، سواء التي تشارك في العمل السياسي، أو التي تعتمد على ذاتها، كما قدمت المرأة، التي تهتم بتثقيف ذاتها، بالإضافة إلى تقديم المرأة التي تطمح إلى استكمال دراستها، وعلى الرغم من تنوع تلك الصور إلا أنها اتفقت على أن الابتعاد عن السلطة هو السبيل الوحيد إلى الوصول وتحقيق الهدف.

– شكلت الطبيعة بحضورها النصي علامات واضحة تحيل إلى مسكوت عنه، فالثعبان والنحل والغبار والشمس الحارقة، كلها علامات تحيل إلى رفض الطبيعة بناء فضاء رمزي للسلطة بعد موتها، بالإضافة إلى تضافر تلك العناصر مع حاسة الشم في رائحة جثة "رضوان" التي على الرغم من محاولة الخلاص منها إلا أنها ظلت عالقة به، فهى علامة على بقاء السلطة بآثارها التي فرضتها على الشخصيات.

الهوامش:

[١]ينظر :بسام قطوس: (استراتيجيات القراءة – التأصيل والإجراء النظري)، دار الكندي للنشر والتوزيع، مؤسسة أربد، الأردن، ١٩٩٨م، ص١٩.
[٢]بشير تاوريريت ، سامية راجح: (التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر- دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية)، ط١،دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ٢٠٠٨م، ص٣٠.
[٣]المرجع نفسه، ص٣٣.
[٤]ينظر :جاك داريدا : (الكتابة والاختلاف)، ط٢، ترجمة : كاظم جهاد، تقديم: محمد علال سيناصر، دار توبقاللنشر، الدار البيضاء، المغرب،، ٢٠٠٠م، ص٦١.
[٥]عمر التاور : (استراتيجية التفكيك عند جاك داريدا- الهدم والبناء) ، مجلة تبيُّن للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ع ٩، الدوحة، قطر، صيف ٢٠١٤م، ص ٤.
[٦]ستانلي فِش : (هل يوجد نص في هذا الفصل ؟ سلطة الجماعات المفسرة) ،ط١، ترجمة وتقديم: أحمد الشيمي، مراجعة : محمد بريري، المشروع القومي للترجمة،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة، ٢٠٠٤م ، ص٩.

[٧]رولان بارت : (درس السيميولوجيا)،ط٢، ترجمة : عبد السلام بنعبد العالي، تقديم عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٨٦م، ص ٨٦.
[٨]عبد الله إبراهيم: (التفكيك وفاعلية الاختلاف)، ع ٨، مج٧، مجلة مدارات، جمعية مدارات معرفية، تونس، شتاء ، ربيع ١٩٩٧م، ص٧٠.
[٩]بشير تاوريريت ، سامية راجح: (التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر- دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية)، ص٣٦، ٣٧.
[١٠]المرجع نفسه، ص٥٥، ٥٦.
[١١]علي حرب : (النص والحقيقة ١- نقد النص)، ط٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، ٢٠٠٥م، ص ٢١.
[١٢]كمال عبد الرازق: (الحضور والغياب في ضوء النظرية التفكيكية لجاك دريدا قصيدة يطير الحمام لمحمود درويش أنموذجا)، ع ٢، مجلةكلية التربية ، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٧م، ص٣٠.
[١٣]عبد العزيز حمودة: (المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية)، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨م، ص٣٨٩.
[١٤]علي حرب: (النص والحقيقة ١ _ نقد النص) ، ص١٦.

[١٥]يُنظر عبد الله الغذامي : (الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية – قراءة نقدية لنموذج معاصر)، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٥٨، ٥٩.
[١٦]أحمد عبد الحليم عطية : (جاك داريدا والتفكيك)، ط ١، دار الفارابي ، سلسلة أوراق فلسفية ، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م، ص١٧٠.
[١٧] جاك دريدا: (التأويل / التفكيك : مدخل ولقاء مع جاك دريدا)، حاوره : هاشم صالح، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع ٥٥، مركز الإنماء القومي، بيروت، أغسطس ١٩٨٨ م ، ص ١٠٣.
[١٨]عبد العزيز حمودة: (المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية)، ص٣٧٨.
[١٩]بشير تاوريريت ، سامية راجح: (التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر- دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية)، ص ٤٠.
[٢٠]عبد العزيز حمودة: (المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية)، ص٣٨٣.
[٢١] عبدالله إبراهيم: (التفكيك وفاعلية الاختلاف)، ص ٧٢.
[٢٢]بسام قطوس: (استراتيجيات القراءة – التأصيل والإجراء النظري)، ص ٥٣.
[٢٣]ميشال فوكو : (المعرفة والسلطة) ، ط١، ترجمة : عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ص٧.

[٢٤]ابن منظور : (لسان العرب)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ص٣٢٠، الجوهري: (تاج اللغة وصحاح العربية)، ط ٤، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ص١١٣٣.

[٢٥] حنان علي عواضة: (السلطة عند ماكس فيبر) ، ع٢٠٦، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة بغداد، العراق، ٢٠١٣م، ص٢٦٥.

[٢٦]عفاف عبد المعطي : (المرأة والسلطة في مصر - بحث في الواقع السياسي والأدبي) ، دار الهلال،القاهرة، ١٩٥١م، ص٧.

[٢٧]جاك دريدا : (في علم الكتابة)، ترجمة وتقديم : منى طلبة وأنور مغيث، ط٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨م،ص٥٠.

[٢٨]إحسان عبد الهادي النائب : (مفهوم السلطة وشرعيتها : إشكالية المعنى والدلالة) ، المؤتمر الدولي الأول للعلوم، كلية القانون، جامعة السليمانية، العراق، مايو ٢٠١٧ م، ص ٦٥.

[٢٩]عبد العزيز حمودة: (المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية)، ص٣٤٦.

[٣٠]ميشيل فوكو : (المراقبة والمعاقبة- ولادة السجن)، ترجمة :علي مقلد، مراجعة وتقديم: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠م، ص٦٤.

[٣١] عبدالله إبراهيم: (التفكيك وفاعلية الاختلاف)،ص٧٠.

[٣٢]ستانلي فِش : (هل يوجد نص في هذا الفصل ؟ سلطة الجماعات المفسرة) ، ص١٥.

[٣٣]عبد الله إبراهيم: (التفكيك وفاعلية الاختلاف)، ص٦٩.

[٣٤]توين فان دايك : (الخطاب والسلطة)، ط١، ترجمة : غيداء العلي، مراجعة وتقديم: عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ٢٠١٤م ، ص٤٤.

[٣٥]أحمد عبد الحليم عطية : (جاك داريدا والتفكيك)، ص١٧٣.

[٣٦]ميريام ريفولت دالون: (سلطان البدايات - بحث في السلطة)، ط١ ترجمة سايد مطر، مراجعة : موريس أبو ناضر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م ، ص١٩.

[٣٧]تزفتيان تودوروف : (الشعرية)، ط٢، ترجمة :شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب، ١٩٩٠م، ص٣٠.

[٣٨]بسام قطوس: (استراتيجيات القراءة – التأصيل والإجراء النظري)، ص ٢٢.

[٣٩]جاك داريدا : (الكتابة والاختلاف)، ص٢٧.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

١- عزة رشاد : (شجرة اللّبخ)، رواية، ط١، الكتب خان للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤م.

ثانيا : المراجع

١. ابن منظور : (لسان العرب)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢. أحمد عبد الحليم عطية : (جاك داريدا والتفكيك)، ط ١، دار الفارابي ، سلسلة أوراق فلسفية ، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.
٣. الجوهري: (تاج اللغة وصحاح العربية)، ط ٤، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
٤. بسام قطوس: (استراتيجيات القراءة – التأصيل والإجراء النظري)، دار الكندي للنشر والتوزيع، مؤسسة أربد، الأردن، ١٩٩٨م.
٥. بشير تاوريريت ، سامية راجح: (التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر- دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية)، ط١،دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ٢٠٠٨م.
٦. تزفتيان تودوروف : (الشعرية)، ط٢، ترجمة :شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب، ١٩٩٠م.
٧. توين فان دايك : (الخطاب والسلطة)، ط١، ترجمة : غيداء العلي، مراجعة وتقديم: عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ٢٠١٤م .
٨. جاك دريدا :
(في علم الكتابة)، ترجمة وتقديم : منى طلبة وأنور مغيث، ط٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨ م.
(الكتابة والاختلاف)، ط٢، ترجمة : كاظم جهاد، تقديم: محمد علال سيناصر، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ، ٢٠٠٠م.
٩. رولان بارت : (درس السيميولوجيا)،ط٢، ترجمة : عبد السلام بنعبد العالي، تقديم عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٨٦م.
١٠. ستانلي فِش : (هل يوجد نص في هذا الفصل ؟ سلطة الجماعات المفسرة) ،ط١، ترجمة وتقديم: أحمد الشيمي، مراجعة : محمد بريري، المشروع القومي للترجمة،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
١١. عبد العزيز حمودة: (المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية)، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨م.

١٢. عبد الله الغذامي : (الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية – قراءة نقدية لنموذج معاصر)، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.
١٣. عفاف عبد المعطي : (المرأة والسلطة في مصر - بحث في الواقع السياسي والأدبي) ، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥١م.
١٤. علي حرب : (النص والحقيقة- نقد النص)، ط٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، ٢٠٠٥م.
١٥. ميريام ريفولت دالون: (سلطان البدايات - بحث في السلطة)، ط١ ترجمة سايد مطر، مراجعة : موريس أبو ناضر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م

١٦. ميشال فوكو :
(المعرفة والسلطة) ، ط١، ترجمة : عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.
(المراقبة والمعاقبة- ولادة السجن)، ترجمة :علي مقلد، مراجعة وتقديم: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠م.

ثالثا : الدوريات:

١. إحسان عبد الهادي النائب : (مفهوم السلطة وشرعيتها : إشكالية المعنى والدلالة) ، المؤتمر الدولي الأول للعلوم، كلية القانون، جامعة السليمانية، العراق، مايو ٢٠١٧ م.

٢. جاك دريدا: (التأويل / التفكيك : مدخل ولقاء مع جاك دريدا)، حاوره : هاشم صالح، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع ٥٥ ، مركز الإنماء القومي، بيروت، أغسطس، ١٩٨٨ م.

٣. حنان علي عواضة: (السلطة عند ماكس فيبر) ، ع٢٠٦، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة بغداد، العراق، ٢٠١٣م.
٤. عبد الله إبراهيم : (التفكيك وفاعلية الاختلاف)، ع ٨، مج٧، مجلة مدارات، جمعية مدارات معرفية، تونس، شتاء ، ربيع ١٩٩٧م.
٥. عمر التاور : (استراتيجية التفكيك عند جاك داريدا - الهدم والبناء) ، مجلة تبيّنللدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ع ٩، الدوحة، قطر، صيف ٢٠١٤م.
٦. كمال عبد الرازق: (الحضور والغياب في ضوء النظرية التفكيكية لجاك دريدا قصيدة يطير الحمام لمحمود درويش أنموذجا)، ع ٢، مجلة كلية التربية ، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٧م.

.....